فقه الدعوة من قصة أصحاب الكهف

دكتور/ مسعود بن بشير بن ربيع المحمدي
الأستاذ المشارك بقسم الدراسات الإسلامية
كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة طيبة بالمدينة المنورة

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، وصلِ اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن القرآن الكريم يهدي للتي هي أقوم، فمن تدبر هذا الكتاب العزيز حصل له ما يرجوه من الهداية، وإن من تدبر القرآن تدبر قصصه؛ فالقصص القرآني له مقاصد عظيمة كثيرة؛ منها: إصلاح القلوب وتوثيق صلتها بالله سبحانه، فكان لزاماً على كل مسلمٍ أن يلازم تدبرَ القرآن لتزكوَ نفسُه، وتستقيم على سبيل الرشاد.

ويتحتم هذا التدبر لقصص القرآن على فريق من المؤمنين، ألا وهم الدعاة إلى الله؛ وذلك لكونهم تحملوا إبلاغ ما جاء به النبيﷺ في القصص القرآني ما يُعِد الدعاة إيماناً وعلماً وسلوكاً وصبراً وجهداً وعملاً.

ثم إن القصص القرآني مبثوث في سور كثيرة، ومن تلك السور: سورة الكهف؛ والتي سميت بذلك؛ لافتتاح أوائلها بقصة أصحاب الكهف، تلك القصة التي ينبغي أن يفيد منها كل داعية في دعوته.

وهذا بحث علمي أتناول فيه دراسة هذه الآيات من سورة الكهف، وهي دراسة مرتكزة على بيان المسائل الدعوية، والتي سأستنبطها من الآيات خلال البحث، مع تفسير ميسر للافت لابد منه لتتجلى المسائل والفوائد الدعوية بمعرفته.

سائلاً الله سبحانه أن يكون هذا البحث نافعاً لكل من قرأه، وزاداً لكل داعية اطلع عليه.

إن ربي سميع الدعاء قريب مجيب.

أهمية الموضوع، وسبب اختياره:

١) العناية بدراسة علوم القرآن، ومنها التفسير الذي هو من أشرف ما يوفق إليه طالب العلم.

٢) أن تدارس كلام الله زاد عظيم النفع للداعية، يزيده علماً وبصيرةً في دعوته، ويهديه لاتباع رسل الله –صلوات الله وسلامه عليهم– وأتباعهم الصادقين، مما يزيده توفيقاً وثباتاً وإخلاصاً.

٣) أن سورة الكهف سورة جاءت الآثار الصحاح بفضل قراءتها كل ليلة جمعة وكل يوم جمعة، فرأيت من المناسب إتحاف أحبتي الدعاة إلى الله لشيء مما فيها من دروس دعوية.

٤) اشتملت قصة أصحاب الكهف على مسائل وفوائد ودروس دعوية كثيرة، مما دعاني إلى محاولة العناية بإلقاء الضوء على تلك الدروس، وإن كان جهدي جهد المقل.

٥) أن أصحاب الكهف كانوا دعاة قدموا في سبيل الدعوة للتوحيد جهداً مباركاً، وذكر الله قصتهم ليقتدي بهم من سلك سبيل الدعوة إلى توحيد الله –سبحانه– وعبادته.

٦) أن أصحاب الكهف كانوا شباباً قاموا بالدعوة إلى الله، وهذا ينبه إلى أن الداعية معنيٌّ على وجها لخصوص بقصة هؤلاء الفتية، فرأيت أن أبيَّن هذا الجانب الدعوي المهم المتعلق بمن يقوم بالدعوة إلى الله من الشباب.

حدود البحث:

١) هذا البحث يعتمد على تفسير آيات ذَكرت قصة أصحاب الكهف، وليس تفسير كل الآيات الواردة في بيان هذه القصة فالدراسة مقتصرة على الآيات التي يرتكز عليها هذا البحث الدعوي.

٢) مجانبة المسائل التي لا تثري البحث، وكذلك التي فيها – أو حولها– جدلٌ لا ينفع القارئ ولا يزيد الداعية علماً.

٣) مناقشة أقوال المفسرين حسب المنهج العلمي بإيجاز غير مخل ودون إطناب ممل.

٤) ترك التفسير بالرأي، فلا أذكر في البحث إلا ما اعتَمد على نصٍ من الكتاب أو السنة أو أثرٍ صحيح، وأما ما يتعلق بالروايات الإسرائيلية فسأكتفي مما كان ثابتاً عن الصحابةﷺ.

منهجي في البحث:

١) سيكون التفسير للآيات على طريقة علماء السلف من تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير الآيات بالأحاديث النبوية الثابتة، وتفسير القرآن بالآثار عن الصحابة والتابعين، وبما تدل عليه اللغة العربية بشتى علومها.

٢) عزو الآيات وتخريج الأحاديث وبيان درجة كل حديث وتخريج الآثار وبيان درجة كل أثر.

٣) الإفادة من آراء المفسرين المتقدمين والمتأخرين.

٤) الاستفادة من آراء علماء السلف ومن سار على هداهم.

٥) مجانبة التكلف والذي منه لـيٍّ معنى النص ليتفق مع رأيٍّ ما.

٦) تجلية المسائل والفوائد والدروس الدعوية بما ينفع كل مسلمٍ، وينفع كل من يعمل في مجال الدعوة.

الدراسات السابقة:

حين نظرت وتابعت البحوث والدراسات المتعلقة بقصة أصحاب الكهف لم أجد بحث علمي تخصص في بيان الفقه الدعوي من هذه القصة على وجه الشمول والتفصيل ودراسة جميع ما يتعلق بأركان الدعوة من خلال هذه القصة المباركة حيث إن الدراسات الموجودة حسب اطلاعي دراسات في جانب التفسير والتربية وهذه البحوث هي:-

١) القصص في سورة الكهف وأثرها في بناء الشخصية، لناظرة أحمد، ماليزيا٢٠٠٣م

٢) القصص القرآني في سورة الكهف دراسة موضوعية، ج الأزهر-١٩٩٩-م- لعوض عبد الرزاق محمد.

٣) القصص القرآني في سورة الكهف وما فيها من أحكام وفوائد، صنعاء- ٢٠٠٣م.

٤) قصص سورة الكهف في الديانات السماوية الثلاثة، لإبراهيم ترون عافية، الأزهر،٢٠١١م

٥) القصص الهادف كما تراه فى سورة الكهف، لمحمد محمد المدني، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

٦) إشراقات سورة الكهف تفسير تدبري موضوعي، د ناصر العمر.

٧) تأملات في سورة الكهف، حسن محمد باجودة، دار الاعتصام.

٨) تأملات في سورة الكهف وصراع الإيمان والمادية، للندوي على عبد الحي الهندي.
٩) أنباء الغيب في سورة الكهف، لمجيدة عبد الرحمن فطاني، التربية بجدة.
١٠) سورة الكهف من منظور علمي دراسة موضوعية، خليل محمد شومان، العلوم الأردن، ٢٠١٠م.
١١) سورة الكهف مضامينها وخصائصها الفنية، محمد وافي، الآداب فاس ١٩٨٨م.
١٢) الأفعال الكلامية في سورة الكهف دراسة تداولية، آمنة لعور، منتورى الجزائر.
١٣) الاتساق والانسجام في سورة الكهف، لمحمود بوسته.
١٤) التذوق الجمالي لسورة الكهف، دار عمار، ١٤٢٢هـ
١٥) منهجيات الإصلاح والتغيير في سورة الكهف، سلطان صلاح الدين، دار السلطان ٢٠٠٨م.

وكما ترى فكل هذه الدراسات كما أشرتُ ليست متخصصة في جانب علم الدعوة، وكان أقربها إلى ذكر عدد من الدروس الدعوية بحث د.أحمد الشرقاوي لكن البحث في علم التفسير ويأتي الحديث عن بعض المسائل الدعوية في خضم بحث فضيلته على غير سبيل التخصص.

وهناك مقال وليس بحث بعنوان الفوائد الدعوية وموقف الداعية من الفتن من خلال قصة أصحاب الكهف لمحمد التلواني، وهذا لم يشر إلى فوائد ودروس متفرقة لم تشمل أركان الدعوة مع قصر هذا المقال وعدم توثيقه،وملاحظة أن عدد من الدروس كان فيها تشدد في الطرح لا يصلح أبداً ليكون مصدر يفيد منه الدعاة إلى الله.

خطة البحث:

المقدمة: وتتضمن:

أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وحدود البحث، ومنهج البحث، والدراسات السابقة.

التمهيد: التعريف بمصطلحات عنوان البحث.

الفصل الأول: التعريف بهم وبقصتهم. وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعريف بهم، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: من هم؟

المطلب الثاني: ما زمانهم
المطلب الثالث: أين مكانهم
المطلب الرابع: ما الدين الذي كانوا عليه؟
المطلب الخامس: كم كان عددهم؟
المبحث الثاني: قصتهم وشيء من سيرهم

الفصل الثاني: دعوتهم، وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: بيان دعوتهم، وفيه ثلاثة مطالب؛
المطلب الأول ماذا دعوا إليه؟
المطلب الثاني: المدعو في قصة أصحاب الكهف
المطلب الثالث: ماذا كان جواب قومهم؟
المبحث الثاني: الأساليب التي عمل بها أصحاب الكهف، وفيه أربعة مطالب:
المطلب الأول: أسلوب الحكمة
المطلب الثاني: أسلوب الجدل
المطلب الثالث: أسلوب الموعظة
المطلب الربع: الوسائل التي أفاد منها أصحاب الكهف في دعوتهم
المبحث الثالث: ما تعرضوا له من فتنة.

الفصل الثالث: الدروس الدعوية المستنبطة من قصتهم؛ وفيه مبحثان:

المبحث الأول: دروس خاصة بالدعاة، وفيه ثمانية مطالب
المطلب الأول: الإخلاص لله
المطلب الثاني: وجوب اتصاف الداعية بالصبر
المطلب الثالث: الثبات
المطلب الرابع: العلم
المطلب الخامس:اتصاف الداعية بالحكمة
المطلب السادس: انتهاج الداعية لين الخطاب وجميل القول في دعوته
المطلب السابع: التزام الرفق في دعوته
المطلب الثامن:فرار الداعية من الفتن.
المبحث الثاني: دروس دعوية خاصة بالدعوة عامة. وفيه خمسة مطالب:
المطلب الأول: شرف القيام بالدعوة إلى الله سبحانه
المطلب الثاني: أهمية العناية بالشباب

المطلب الثالث: العناية بأساليب الدعوة المستقاة من هدي الكتاب والسنة.

المطلب الرابع: يجعل الله من نصرة الدعاة ولو بعد حين ما يهدي قلوب الغافلين ويثبت به الذاكرين.

المطلب الخامس: يحدث الله من سبل النصر والتمكين ما هو فوق قدرات البشر وفوق ما يؤمله الداعية.

المطلب السادس: النصر للدعوة ليس شرط أن يكون في حياة الداعية.

الخاتمة، وتحتوي أهم النتائج والتوصيات.

فهرس المصادر والمراجع.

التمهيد: التعريف بمصطلحات عنوان البحث

أولاً: معنى (الفقه):

الفِقْهُ لغةً: العِلْمُ بالشيءِ، والفَهْمُ له، والفِطْنَةُ[١].

وقد استعمل لفظ: (الفقه) في اصطلاح العلماء على: العلم بالأدلة الشرعية العملية المكتسب من الأدلة التفصيلية[٢].

لكن المقصود بالفقه المضاف إلى (الدعوة) هو المعنى اللغوي، أي: الفهم الدقيق للدعوة.

ثانياً: معنى (الدعوة):

الدعوة لغةً: مصدر دعا، بمعنى طلب وسأل، يقال: دعا الرجلَ، أي: طلبَه، وتأتي بمعنى الدعاء؛ فيقال: دعا له بالخير، ودعا عليه بالشر[٣].

الدعوة اصطلاحاً: لها عدة تعريفات، لعل من أفضلها:

تبليغ الناس جميعاً دعوة الإسلام، وهدايتهم إليه قولاً وعملاً في كل زمان ومكان، بأساليب وسائل خاصة تتناسب مع المدعوين على مختلف أصنافهم وأصولهم[٤].

ثالثاً: معنى مصطلح (فقه الدعوة):

هو استنباط، وفهم تاريخ الدعوة، وأسبابها، وأركانها، وأساليبها، ووسائلها، وأهدافها، ونتائجها استنباطا وفهما على ضوء الكتاب، والسنة، وفهم السلف الصالح، يمكن الدعاة إلى الله تعالى من عرضها بأحسن طريقة، وأكثر ملاءمة لمن توجه إليهم الدعوة في مختلف بيئاتهم، ومتباين ألسنتهم، ولغاتهم، ومتعدد أجناسهم[٥].

---

(١) انظر: لسان العرب (١٣/ ٥٢٢)، القاموس المحيط (ص: ١٢٥٠).

(٢) انظر: التعريفات (ص: ١٦٨) التعريفات الفقهية (ص: ١٦٦).

(٣) انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (١/ ١٩٥)، القاموس المحيط (ص: ١٢٨٣).

(٤) انظر: خصائص الدعوة الإسلامية، لمحمد أمين حسين، ط١، ١٩٨٢م، مكتبة الفلاح- الكويت، ص١٧.

(٥) انظر: فقه الدعوة إلى الله، للدكتور علي عبد الحليم محمود، ١ / ١٨.

الفصل الأول: التعريف بهم وبقصتهم

وفيه مبحثان:

المبحث الأول:التعريف بهم .

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: من هم؟

الفتية: جمع فتى، مثل غلام وغلمة، وصبي وصبية. و "فِعْلَة" من أسماء الجمع، قال بعض المفسرين: الفتية: بمعنى الشبان(١).

ذكر الله تعالى أنهم فتية، والمقصود بالفتية الشباب.

قال قتادة: كانوا أبناء ملوك الروم، فتفردوا بدينهم في الكهف، فضرب الله على آذانهم(٢).

قال الجرجاني:وأصحاب الكهف فتية من اليونانية، واليونانية: جيل من الناس كانوا يسكنون بلاد الروم، ويختلطون بهم، والاختلاف بينهم كالاختلاف بين القحطانية والعدنانية، وكانوا معنيّين بعلم الفلسفة مختلفين فيها، فمنهم موحّد، ومنهم مشرك(٣).

وقيل: إن رجلين مؤمنين يكتمان إيمانهما كتبا أسماءهم وأنسابهم وخبرهم في لوح من رصاص، وجعلاه في تابوت من نحاس في البنيان، وقالا: لعل الله يُطلِع عليهم قوماً مؤمنين، فيعلمون خبرهم(٤). هذا قول ابن عباس.

قال ابن كثير: إن الشباب أقبل للحق وأهدى للسبيل من الشيوخ الذين قد عتوا وانغمسوا في دين الباطل، ولهذا كان أكثر المستجيبين لله تعالى ولرسولهﷺ شباباً، وأما المشايخ من قريش فعامتهم بقوا على دينهم ولم يسلم منهم إلا القليل، وهكذا أخبر تعالى عن أصحاب الكهف أنهم كانوا فتية شباباً(٥).

فهؤلاء الفتية امتنَّ الله سبحانه عليهم بأن جعلهم مؤمنين، فألهمهم رشدهم وآتاهم تقواهم.

المطلب الثاني: ما زمانهم؟

ذكر المفسرون ثلاثة أقوال في تحديد زمانهم:

القول الأول: أنهم كانوا بعد بعثة عيسىعليه السلام وبعد رفعه إلى السماء، فكانوا على دينه.

---

(١) انظر: تفسير الوسيط للواحدي (١٣٧/٣)، زاد المسير لابن الجوزي (٦٦/٣).

(٢) انظر: جامع البيان للطبري (١٢٨/١٥)، زاد المسير لابن الجوزي (٦٧/٣).

(٣) انظر: درج الدرر للجرجاني (٢٣٨/٢).

(٤) انظر: تفسير مقاتل (٥٧٤/٢)، الكشف والبيان للثعلبي (١٤٩/٦)، معالم التنزيل للبغوي (١٤٨/٥).

(٥) انظر: تفسير ابن كثير (١٤٠/٥).

القول الثاني: أنهم كانوا قبل بعثة عيسى عليه السلام.

القول الثالث: أنهم دخلوا الكهف قبل عيسى عليه السلام ثم كان مبعثهم في الفترة بين عيسى ومحمد -عليهما أفضل الصلاة والتسليم-[1].

ورجح ابنُ الأثير أن أصحاب الكهف كانوا بعد بعثة عيسى عليه السلام ورفعه إلى السماء[2].

وجزم ابن كثير بأنهم كانوا قبل بعثة عيسى عليه السلام، حيث قال: "وقد ذُكر أنهم كانوا على دين عيسى ابن مريم عليه السلام، والله أعلم -والظاهر أنهم كانوا قبل ملة النصرانية بالكلية، فإنه لو كانوا على دين النصرانية، لما اعتنى أحبار اليهود بحفظ خبرهم وأمرهم، لمباينتهم لهم"[3].

ثم إنه من المعلوم أن ما بين رفع عيسى وبعثة النبي ﷺ ستمائة سنة كما ثبت عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: «فَتْرَةٌ بَيْنَ عِيسَى، وَمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ، ستُّ مائَةِ سَنَةٍ".

غير أن هناك أقوالاً أخرى ذكرها ابن كثير ليست في درجة صحة المأثور عن سلمان[4].

قال ابن عطية:والظاهر من أمرهم أنهم قاموا ودخلوا الكهف بعد عيسى بيسير[5].

قال الرازي: اختلف الناس في زمان أصحاب الكهف وفي مكانهم، أما الزمان الذي حصلوا فيه، فقيل: إنهم كانوا قبل موسى عليه السلام وأن موسى ذكرهم في التوراة، ولهذا السبب فإن اليهود سألوا عنهم، وقيل: إنهم دخلوا الكهف قبل المسيح وأخبر المسيح بخبرهم ثم بعثوا في الوقت الذي بين عيسى عليه السلام وبين محمد ﷺ، وقيل: إنهم دخلوا الكهف بعد المسيح[6].

المطلب الثالث: أين مكانهم

وأما مكانهم فقد اختلفت آراء المفسرين كما اختلفت آراء علماء التاريخ في تحديد مكانهم، فروى ابن جرير بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "الرقيم: واد بين عسفان وأيلة دون فلسطين، وهو قريب من أيلة[7]".

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب للرازي(٤٥٤/٢١)، اللباب لابن عادل (٤٦٦/١٢).

(٢) انظر: الكامل في التاريخ (٣٢٥/١).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٧٠/٣)،

(٤) انظر: البداية والنهاية لابن كثير (٥٢٧/٢).

(٥) انظر: المحرر الوجيز (٥١٠/٣).

(٦) انظر: مفاتيح الغيب (٤٥٤/٢١).

(٧) انظر: جامع البيان للطبري (٦٠٢/١٧).

وهذا تحديد من ابن عباس للمكان الذي فيه الكهف، وهو أحسن ما وقفتُ عليه مسنداً إلى صحابي.

ثم إنني لا أرى أن في التوصل إلى مكان الجبل الذي فيه الكهف مصلحة شرعية؛ فما أخبرنا القرآن به حق ولا حاجة إلى بحث عن ما يؤيد تلك الوقائع فالمؤمن مصدق بما جاء في كتاب الله وما ثبت عن رسول اللهﷺ، ثم إنه قد تكون معرفة هذا المكان سبب في حصول محاذير يقع فيها الجهال من التبرك بقبور هؤلاء الصالحين وبالمسجد المبني على قبورهم.

المطلب الرابع: ما الدين الذي كانوا عليه؟

الذي يظهر أن زمان هؤلاء الفتية الصالحين هو بعد رفع نبي الله عيسىعليه السلام ولذلك نجد أن كثيراً من المفسرين والمؤرخين يقولون إن ديانتهم هي الدين الذي جاء به عيسىعليه السلام (١).

وإن مما يؤيد هذا أنهم دعوا قومهم إلى توحيد الله ونبذ الشرك وهذا هو الذي جاء به الرسل جميعاً، قال سبحانه {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ} الآية. [سورة النحل:٣٦].

قال الخازن: "يعني كما بعثنا فيكم محمداﷺ أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت؛ يعني أن الرسل كانوا يأمرونهم بأن يعبدوا الله وأن يجتنبوا عبادة الطاغوت؛ وهو اسم كل معبود من دون الله(٢)".

المطلب الخامس: كم كان عددهم؟

لقد أخبرنا الله تعالى عن اختلاف الناس في عدة أصحاب الكهف فذكر إنهم اختلفوا إلى ثلاثة أقوال؛ القول الأول: ثلاثة، والقول الثاني: خمسة، والقول الثالث: سبعة. ثم ضعَّف سبحانه القولين الأولين بقوله: {رَجْمَۢا بِٱلْغَيْبِ} [سورة الكهف:٢٢].أي: قولاً بلا علم؛ كمن يرمي إلى مكان لا يعرفه، فإنه لا يكاد يصيب، وإن أصاب فبلا قصد، ثم حكى الثالث وسكت عنه أو قرره، بقوله {وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ } [سورة الكهف:٢٢].فدل على صحته وأنه هو الواقع في نفس الأمر(٣).

ولابد من وقفة مع قوله سبحانه{مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ} [سورة الكهف:٢٢].

---

(١)سبق بيان ذلك، انظر: (ص:).

(٢) انظر: لباب التأويل (٧٦/٣).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (١٤٧/٥)، تيسير الكريم الرحمن للسعدي (ص:٤٧٣).

فقد دلَّ هذا الجزء من الآية على أن هناك من يعلم عددهم وهؤلاء قليل؛ ولذلك قال ابن عباس: أنا من القليل الذي استثنى الله؛ كانوا سبعة[١].

وروى عن عطاء أنه كان يقول عدتهم سبعة[٢].

والمتأمل للآيات في هذه المسألة يجد أن القرآن نهانا عن المماراة في عدة أصحاب الكهف إلا بالحسنى قال تعالى: {فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا} [سورة الكهف:٢٢].أي: سهلاً هيناً؛ فإن الأمر في معرفة ذلك لا يترتب عليه كبير فائدة.

قال الشيخ السعدي في تفسير قول الله تعالى{فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا}: "أي: تجادل وتحاج فيهم{إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا} أي مبنياً على العلم واليقين، ويكون أيضاً فيه فائدة، وأما المماراة المبنية على الجهل والرجم بالغيب، أو التي لا فائدة فيها، إما أن يكون الخصم معانداً، أو تكون المسألة لا أهمية فيها، ولا تحصل فائدة دينية بمعرفتها، كعدد أصحاب الكهف ونحو ذلك، فإن في كثرة المناقشات فيها، والبحوث المتسلسلة، تضييعاً للزمان، وتأثيراً في مودة القلوب بغير فائدة"[٣].

كما أن القرآن ينهانا أن نستفتي فيهم أحداً من أهل الكتاب قال سبحانه ولا تستفت فيهم منهم أحدا أي فإنهم لا علم لهم بذلك إلا ما يقولونه من تلقاء أنفسهم.

المبحث الثاني: قصتهم وشيء من سيرهم

اختلف العلماء في بدو أمرهم، وسبب مصيرهم إلى الكهف على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم هربوا ليلاً من ملكهم حين دعاهم إلى عبادة الأصنام، فمروا براعٍ له كلب، فتبعهم على دينهم، فأووا إلى الكهف يتعبدون، ورجل منهم يبتاع لهم أرزاقهم من المدينة، إلى أن جاءهم يوماً فأخبرهم أنهم قد ذكروا، فبكوا وتعوذوا بالله تعالى من الفتنة، فضرب الله تعالى على آذانهم، وأمر الملك فسد عليهم الكهف، وهو يظنهم أيقاظاً، وقد توفى الله أرواحهم وفاة النوم، وكلبهم قد غشيه ما غشيهم. ثم إن رجلين مؤمنين يكتمان إيمانهما كتبا أسماءهم وأنسابهم وخبرهم في لوح من رصاص، وجعلاه في تابوت من نحاس في البنيان، وقالا: لعل الله يطلع عليهم قوماً مؤمنين، فيعلمون خبرهم[٤]، هذا قول ابن عباس.

(١) انظر: جامع البيان للطبري (٦٤٢/١٧).

(٢) انظر: جامع البيان للطبري (٦٤٢/١٧).

(٣) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (ص:٤٧٣).

(٤) انظر: الكشف والبيان للثعلبي (١٤٩/٦)، معالم التنزيل للبغوي (١٧٥/٣).

وقال عبيد بن عمير: فقدهم قومهم فطلبوهم، فعمَّى الله عليهم أمرهم، فكتبوا أسماءهم وأنسابهم في لوح: فلان وفلان أبناء ملوكنا فقدناهم في شهر كذا، في سنة كذا، في مملكة فلان، ووضعوا اللوح في خزانة الملك، وقالوا: ليكونن لهذا شأن[1].

والثاني: أن أحد الحواريين جاء إلى مدينة أصحاب الكهف، فأراد أن يدخلها، فقيل له: إن على بابها صنماً لا يدخلها أحد إلا سجد له، فكره أن يدخلها، فأتى حماماً قريباً من المدينة، فكان يعمل فيه بالأجر، وعلقه فتية من أهل المدينة، فجعل يخبرهم عن خبر السماء والأرض، وخبر الآخرة، فآمنوا به وصدقوه، حتى جاء ابن الملك يوماً بامرأة، فدخل معها الحمام، فأنكر عليه الحواري ذلك، فسبه ودخل، فمات وماتت المرأة في الحمام، فأتى الملك، فقيل له: إن صاحب الحمام قتل ابنك، فالتمس فهرب، فقال: من كان يصحبه؟ فسمي له الفتية، فالتمسوا فخرجوا من المدينة، فمروا على صاحب لهم في زرع، وهو على مثل أمرهم، فانطلق معهم ومعه كلب حتى آواهم الليل إلى الكهف، فدخلوه فقالوا: نبيت ها هنا، ثم نصبح إن شاء الله فترون رأيكم، فضرب الله على آذانهم فناموا وخرج الملك، وأصحابه يتبعونهم، فوجدوهم قد دخلوا الكهف، فكلما أراد رجل أن يدخل الكهف أرعب، فقال قائل للملك: أليس قلت: إن قدرت عليهم قتلتهم؟ قال: بلى، قال: فابن عليهم باب الكهف حتى يموتوا جوعاً وعطشاً، ففعل[2]، هذا قول وهب بن منبه.

والثالث: أنهم كانوا أبناء عظماء المدينة وأشرافهم، خرجوا فاجتمعوا وراء المدينة على غير ميعاد، فقال رجل منهم –هو أسنهم–: إني لأجد في نفسي شيئاً ما أظن أحداً يجده، فقالوا: ما تجد؟ قال: أجد في نفسي أن ربي رب السماوات والأرض، فقاموا جميعاً فقالوا: ربنا رب السماوات والأرض. فأجمعوا أن يدخلوا الكهف، فدخلوا، فلبثوا ما شاء الله، هذا قول مجاهد.

وقال قتادة: كانوا أبناء ملوك الروم، فتفردوا بدينهم في الكهف، فضرب الله على آذانهم[3].

ولابد من الإشارة إلى سبب بعث أصحاب الكهف من نومهم.

(١) انظر: زاد المسير (٦٧/٣)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤٩٩/٣).

(٢)انظر: جامع البيان للطبري (٦١٢/١٧)، الهداية على بلوغ النهاية لمكي القيسي (٤٣٥٠/٦).

(٣) انظر: جامع البيان للطبري (٦٠٩/١٧)، زاد المسير لابن الجوزي (٦٧/٣)،

فقال عكرمة: جاءت أمةٌ مسلمةٌ، وكان ملكهم مسلماً، فاختلفوا في الروح والجسد، فقال قائل: يبعث الروح والجسد. وقال قائل: يبعث الروح وحده، والجسد تأكله الأرض فلا يكون شيئاً، فشق اختلافهم على الملك، فانطلق فلبس المسوخ، وقعد على الرماد، ودعا الله أن يبعث لهم آية تبين لهم، فبعث الله أصحاب الكهف(١).

قال وهب بن منبه: جاء راعٍ قد أدركه المطر إلى الكهف، فقال: لو فتحت هذا الكهف، وأدخلته غنمي من المطر، فلم يزل يعالجه حتى فتحه، ورد الله إليهم أرواحهم حين أصبحوا من الغد(٢).

وقال ابن السائب: احتاج صاحب الأرض التي فيها الكهف أن يبني حظيرة لغنمه، فهدم ذلك السد، فبنى به، فانفتح باب الكهف(٣).

وقال ابن إسحاق: ألقى الله في نفس رجل من أهل البلد أن يهدم ذلك البنيان فيبني به حظيرة لغنمه، فاستأجر عاملين ينزعان تلك الحجارة، فنزعاها، وفتحا باب الكهف، فجلسوا فرحين، فسلم بعضهم على بعض لا يرون في وجوههم ولا أجسادهم شيئا يكرهونه، إنما هم كهيئتهم حين رقدوا وهم يرون أن ملكهم في طلبهم، فصلوا، وقالوا ليمليخا صاحب نفقتهم: انطلق فاستمع ما نذكر به، وابتغ لنا طعاماً، فوضع ثيابه، وأخذ الثياب التي كان يتنكر فيها، وخرج فرأى الحجارة قد نزعت عن باب الكهف، فعجب، ثم مر مستخفياً متخوفاً أن يراه أحد فيذهب به إلى الملك، فلما رأى باب المدينة رأى عليه علامة تكون لأهل الإيمان، فعجب، فخيل إليه أنها ليست بالمدينة التي يعرف، ورأى ناساً لا يعرفهم، فجعل يتعجب ويقول: لعلي نائم فلما دخلها رأى قوماً يحلفون باسم عيسى، فقام مسنداً ظهره إلى جدار، وقال في نفسه: والله ما أدري ما هذا، عشية أمس لم يكن على وجه الأرض من يذكر عيسى إلا قُتِل، واليوم أسمعهم يذكرونه، لعل هذه ليست المدينة التي أعرف، والله ما أعرف مدينةً قرب مدينتنا فقام كالحيران، وأخرج ورقا فأعطاه رجلاً فقال: بعني طعاماً، فنظر الرجل إلى نقشه فعجب، ثم ألقاه إلى آخر، فجعلوا يتطارحونه بينهم، ويتعجبون، ويتشاورون، وقالوا: إن هذا قد أصاب كنزاً، ففرق منهم، وظنهم قد عرفوه، فقال: أمسكوا طعامكم فلا حاجة بي إليه، فقالوا له: من أنت يا فتى؟ والله لقد وجدت كنزاً وأنت تريد أن تخفيه، شاركنا فيه وإلا أتينا بك إلى السلطان فيقتلك. فلم يدر ما يقول، فطرحوا كساءه في عنقه وهو يبكي ويقول: فرق بيني وبين إخوتي يا

(١) انظر: تفسير يحيى ابن سلام (١٧٧/١)، تفسير عبدالرزاق (٣٢٣/٢).
(٢) انظر: الدر المنثور للسيوطي (٣٦٩/٥).
(٣) انظر: درج الدرر للجرجاني (١١٣٩/٣).

ليتهم يعلمون ما لقيت. فأتوا به إلى رجلين كانا يديران أمر المدينة، فقالا: أين الكنز الذي وجدت؟ قال: ما وجدت كنزاً، ولكن هذه ورق آبائي، ونقش هذه المدينة وضربها، ولكن والله ما أدري ما شأني، ولا ما أقول لكم. قال مجاهد: كان ورق أصحاب الكهف مثل أخفاف الإبل، فقالوا: من أنت، وما اسم أبيك؟ فأخبرهم، فلم يجدوا من يعرفه، فقال له أحدهما: أتظن أنك تسخر منا وخزائن هذه البلدة بأيدينا، وليس عندنا من هذا الضرب درهم ولا دينار؟! إني سآمر بك فتعذب عذاباً شديداً، ثم أوثقك حتى تعترف بهذا الكنز، فقال يمليخا: أنبئوني عن شيء أسالكم عنه، فإن فعلتم صدقتكم، قالوا: سل، قال: ما فعل الملك دقيانوس؟ قالوا: لا نعرف اليوم على وجه الأرض ملكاً يسمى دقيانوس، وإنما هذا ملك كان منذ زمان طويل، وهلكت بعده قرون كثيرة، فقال: والله ما يصدقني أحد بما أقوله، لقد كنا فتيةً، وأكرهنا الملك على عبادة الأوثان والذبح للطواغيت فهربنا منه عشية أمس فنمنا، فلما انتبهنا خرجت أشتري لأصحابي طعاماً، فإذا أنا كما ترون، فانطلقوا معي إلى الكهف أريكم أصحابي. فانطلقوا معه وسائر أهل المدينة، وكان أصحابه قد ظنوا لإبطائه عليهم أنه قد أخذ، فبينما هم يتخوفون ذلك، إذ سمعوا الأصوات وجلبة الخيل، فظنوا أنهم رسل دقيانوس، فقاموا إلى الصلاة، وسلم بعضهم على بعض، فسبق يمليخا إليهم وهو يبكي، فبكوا معه، وسألوه عن شأنه، فأخبرهم خبره، وقص عليهم النبأ كله، فعرفوا أنهم كانوا نياماً بأمر الله تعالى، وإنما أوقظوا ليكونوا آية للناس، وتصديقا للبعث، ونظر الناس إلى المسطور الذي فيه أسماؤهم وقصتهم، فعجبوا، وأرسلوا إلى ملكهم فجاء واعتنق القوم، وبكى، فقالوا له: نستودعك الله ونقرأ عليك السلام، حفظك الله، وحفظ ملكك. فبينا الملك قائم رجعوا إلى مضاجعهم، وتوفى الله أنفسهم، فأمر الملك أن يجعل لكل واحد منهم تابوت من ذهب، فلما أمسوا رآهم في المنام، فقالوا: إنا لم نخلق من ذهب وفضة، ولكن خلقنا من تراب، فاتركنا كما كنا في الكهف على التراب حتى يبعثنا الله منه، وحجبهم الله حين خرجوا من عندهم بالرعب، فلم يقدر أحد أن يدخل عليهم، وأمر الملك فجَعل على باب الكهف مسجداً يُصلَّى فيه، وجعل لهم عيداً عظيماً يؤتى كل سنة، وقيل: إنه لما جاء يمليخا ومعه الناس، قال: دعوني أدخل على أصحابي فأبشرهم، فانهم إن رأوكم معي أرعبتموهم، فدخل فبشرهم، وقبض الله روحه وأرواحهم، فدخل الناس، فإذا أجساد لا ينكرون منها شيئاً، غير أنها لا أرواح فيها، فقال الملك: هذه آيةٌ بعثها الله لكم[1].

(١) انظر: جامع البيان للطبري(٦٢٩/١٧)معالم التنزيل للبغوي (١٥٠/٥)، زاد المسير لابن الجوزي (٦٨/٣).

الفصل الثاني: دعوتهم.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول:بيان دعوتهم.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: ماذا دعوا إليه؟

إن أول وأعظم ما دعت إليه رسل الله –صلوات الله وسلامه عليهم– هو التوحيد وعبادة الله وحده وهذا معلوم من كتاب الله سبحانه، ومن كلام نبيه محمدﷺ.

فقد أخبر ربنا تعالى عن ذلك فقال: {وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ} [سورة الأنبياء:٢٥]، وقوله:{وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ} [سورة النحل:٣٦]، وقوله: {وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ}[سورة الزخرف:٤٥].

وفي الحديث المتفق عليه عن أبي هريرةﷺ أن النبيﷺ: (أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ)[1].

وهكذا أتباع رسل الله جميعاً فإنهم ساروا على طريق رسل الله فدعوا إلى توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له،ثم إن هؤلاء الفتية من أتباع نبي الله عيسىعليه السلام–بحسب ما ترجح عندي–، وقد امتن الله سبحانه على هؤلاء الفتية بأن جعلهم مؤمنين وألهمهم رشدهم، فآمنوا بربهم، ولذلك قال سبحانه في وصفهم: {إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى} [سورة الكهف:١٣].أي: اعترفوا له بالوحدانية وشهدوا أنه لا إله إلا هو. كما دل قوله {وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى}: أن الله ثبتهم وكانوا ثابتين على الحق في دعوتهم إلى التوحيد.

ومما يدل على ذلك قوله تعالى: {وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ إِذۡ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ} [سورة الكهف:١٤]، قال ابن كثير: وصبرناهم على مخالفة قومهم ومدينتهم،ومفارقة ما كانوا فيه من العيش الرغيد والسعادة والنعمة[2].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى (واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها)، رقم الحديث (٣٤٤٣)، وفي صحيح مسلم كتاب الفضائل،باب فضائل عيسى عليه السلام، رقم الحديث (٢٣٦٥).

(٢)تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٤٠/٥).

وقد ذكرتُ آنفاً قصتهم وأن جمعاً من المفسرين من السلف والخلف ذكروا أن هؤلاء الفتية كانوا من أبناء ملوك الروم وسادتهم، وكانوا ينكرون على قومهم عبادة الأصنام والذبح لها، فلما بلغ أمرهم ملك تلك المدينة استحضرهم بين يديه فسألهم عن أمرهم وما هم عليه، فأجابوه بالحق ودعوه إلى الله،ولهذا أخبر تعالى عنهم بقوله: {وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا} [سورة الكهف:١٤].

وتلاحظ هنا أن "لن"لنفي التأبيد؛ أي: لا يقع منا هذا أبداً؛ لأنا لو فعلنا ذلك لكان باطلاً،ولهذا قال عنهم:{لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا}أي: باطلاً وكذباً وبهتاناً(١).

ثم إن هؤلاء الفتية بينوا عقيدة التوحيد أوضح بيانٍ، ولم يكتفوا بالدعوة إلى الحق ببيانه فحسب بل بينوا ضلالة قومهم، وأن ما فيه قومُهم باطلٌ من الشرك والافتراء على الله سبحانه بدعاء آلهة من دونه، وأقام هؤلاء الفتية الحجةَ، وجادلوا قومهم بالبراهين التي تدحض باطلهم، ويدل على هذا قوله سبحانه {هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ } [سورة الكهف:١٥].أي: أن هؤلاء القوم المشركين ليس عندهم برهان فلم يقيموا على صحة ما ذهبوا إليه دليلاً واضحاً صحيحاً، ونجد أن هؤلاء الفتية في دعوتهم للتوحيد أخذوا بأسلوب الوعظ –كما سيأتي بيانه–؛ حيث قالوا{فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا }، والمعنى: أن من اتخذ من دون الله إلهاً فهو كاذب ظالم(٢).

المطلب الثاني: المدعو في قصة أصحاب الكهف

حينما يتأمل المسلم قصة أهل الكهف بحسب ما ذكر القرآن العظيم يجد أن أصحاب الكهف كانوا من أهل مدينة عامرة بمقومات الحضارة؛ ففيها السوق والتعاملات المالية والمعايش الكريمة، ومعلوم أن المدينة لابد لها من قائمين عليها حفظاً لها وتأميناً لأهلها ومصالحهم، ولابد أن لها مرافق ويدل على ذلك كله قوله سبحانه حكاية عن أصحاب الكهف حين بعثهم الله: {فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا} [سورة الكهف:١٩].

وقد وصف أصحابُ الكهف أهلَ المدينة بأنهم قوم، وهذا يدل على كثرتهم.

(١)انظر: المصدر السابق(١٤١/٥).

(٢)إرشاد العقل السليم لأبي السعود (١٩٤/٣).

ويدل على ذلك قول أصحاب الكهف في حديثهم عن أهل المدينة: {هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗ} [سورة الكهف:١٥]. وقد ذكر المفسرون أن تلك المدينة كان لها ملك جبار -كما نقلته آنفاً-، واسمه دقيانوس، وله جند وعسكر، وله سلطانٌ بسطه على تلك المدينة[١]، فتبين من هذا كله أمور:

١) أن المدعوين الذين دعاهم أصحاب الكهف كانوا أمةً من الناس في كثرة، يعيشون في مدينةٍ فيها المعايش وسبل الحياة الرغيدة، وكان يحكم تلك المدينة ملكٌ يدعو إلى الشرك ويضاد التوحيد ويحارب من دعى إليه.

٢) أن الإشراك بالله كان منتشراً وظاهراً في تلك المدينة،حيث كانوا يعبدون الأوثان، وكان أهل تلك المدينة متبعين لما كان عليه الآباء وما كان عليه سلطان المدينة، ويذكر المؤرخون أن الدولة البيزنطية حاربت دعوة المسيح زمناً مديداً قبل أن تعتنق الديانة النصرانية المحرفة[٢]، وقبل أن يتبع بعض ملوكها ما جاء به نبي الله عيسى عليه السلام.

٣) لم يكن هناك دعاة للتوحيد يصدعون به؛ومما يدل على ذلك أن أصحاب الرقيم لما صدعوا بدعوتهم رأوا أنهم سيقتلون أو يفتنون عن دينهم فاتخذوا سبيل الهرب مخرجاً مما أحاط بهم.

٤) يظهر أنهم في حقبة أصحاب الرقيم، ووقت قيامهم بالدعوة لم يكن هناك من يناصر الدعاة إلى التوحيد، ولذلك اختار أهل الكهف الخروج من المدينة طلباً للنجاة وهرباً بدينهم من الفتن.

٥) الذي يظهر أنه كان في تلك المدينة أهل توحيد وإيمان، لكنهم كانوا في قلة وضعف؛ ومما يدل على ذلك أن أصحاب الرقيم أخذوا الدين الحق عن من علمهم ذلك وأرشدهم إليه، فلم يكن إيمانهم مجرد تحول ذاتي من الشرك إلى التوحيد دون إرشاد مرشد وتعليم معلم ونصيحة داعية إلى الخير. غير أن أصحاب الرقيم لما آمنوا بما تلقوه ممن دعاهم جهروا بدعوتهم إلى الله وحملوا رسالة التوحيد وأنكروا الشرك.

المطلب الثالث: ماذا كان جواب قومهم؟

دلت الآيات الكريمة في قصة أصحاب الكهف أن قومهم أبوا أن يستجيبوا لدعوتهم وكذبوهم وأصروا على كفرهم وشركهم ويدل على ذلك:

---

(١) سبق ذكر كلام المفسرين في ذكر قصة أصحاب الكهف (ص:)

(٢) انظر: المختصر في أخبار البشر لصاحب حماة (٦٤/١)، الدولة البيزنطية للباز العريني (ص:٢٧).

١) حصول مواجهة بين أصحاب الكهف وقومهم، فبعد أن دعا أصحاب الكهف قومهم عادوهم ونابذوهم، ولولا أن ربط الله على قلوبهم وتثبيته لهم لما قاموا بالصدع بالحق والصبر على تبليغ رسالة التوحيد، كما قال سبحانه: {نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا} [سورة الكهف: ١٣- ١٤].

٢) كان أهل المدينة عامدين أذية أصحاب الكهف من رجمٍ لهم أو إجبارهم على العودة عن دينهم الحق، لكن أصحاب الكهف صدعوا بالدعوة إلى التوحيد في ثباتٍ وحكمة.

٣) الخوف الذي كان ملازماً لأصحاب الكهف من فتنة قومهم قبل مرقدهم وبعد بعثهم، يدل على ما نزل بهم من شدةٍ وبلاء، جعل الإيواء إلى الكهف هو الملاذ الذي طلبوا به النجاة والسلامة من شرور قومهم.

المبحث الثاني: الأساليب التي عمل بها أصحاب الكهف

إن المتأمل لسياق الآيات في قصة أهل الكهف يجد أن أصحاب الكهف دعوا قومهم بعدة أساليب، نستعرضها في المطالب التالية:

المطلب الأول: أسلوب الحكمة

الحكمة تدور على عدة معانٍ في اللغة وترتكز عليها؛ منها العلم، والحلم، والأناة، والإتقان،والعدل[١].

وفي الاصطلاح: تعتمد كذلك على ركائز منها؛ البصيرة، ومدارها العلم، والإصابة، ووضع الشيء في موضعه[٢].

وكل هذه المعاني اللغوية والشرعية للحكمة تجعل من اتصف بها حكيماً في نظرته للأشياء، وحكيماً في تصوراته، وحكيماً في أقواله، وحكيماً في أفعاله، متبعاً لما جاء به الرسولﷺ.

فمن كان حريصاً على العلم عاملاً به، ومن كان يتحرى العدل في قوله وعمله، ومن كان يتقن عمله، ومن كان حليماً وحكيماً في مسيرته، ومن كان حريصاً على إصابة الحق، كان حقاً حكيماً في كل شأنه وأمره.

(١)انظر: تالقاموس المحيط، للفيروز آبادي، (ص١٤١٥)ولسان العرب لابن منظور، (١٢/ ١٤٣).

(٢) انظر: تفسير غرائب القرآن للنيسابوري المطبوع بهامش تفسير الطبري (١/ ٤١٣)، وزاد المسير لابن الجوزي (١/٣٢٤)، وروح المعاني للألوسي (٣/٤١).

وقد أمر الله سبحانه الداعية بأن يدعو بأسلوب الحكمة قال سبحانه: {ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ } [سورة النحل:١٢٥].

قال الشيخ السعدي: "ليكن دعاؤك للخلق مسلمهم وكافرهم إلى سبيل ربك المستقيم المشتمل على العلم النافع والعمل الصالح {بِٱلۡحِكۡمَةِ}أي: كل أحد على حسب حاله وفهمه وانقياده، ومن الحكمة: الدعوة بالعلم لا بالجهل والبداءة بالأهم فالأهم، وبالأقرب إلى الأذهان والفهم، وبما يكون قبوله أتم، وبالرفق واللين[1]".

والداعية إلى الله يفيد من هذا كله فيسلك سبيل الحكمة في دعوته فيكون صاحب عدل في قوله وعمله، حريصاً على إصابة الحق، ويدعو إلى الله بحلم وإتقان، ويضع كل شيء في موضعه، وهذا هو ما كان عليه أصحاب الرقيم؛ فإنهم -كما هو ظاهر من القرآن-دعوا إلى الله؛ فبينوا عقيدة التوحيد، ونهوا عن الشرك بحكمة.

ويدل عليه قوله تعالى: {إِذۡ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطٗا } [سورة الكهف:١٤]، فظاهر هذه الآية الكريمة أن أصحاب الكهف اختاروا طريق الدعوة إلى الله، فساروا فيه بحكمة، فلما وفقهم الله تعالى إلى هذا السبيل لم يحدثوا ما يضر بدعوتهم، ويهيج الناس عليهم، وينفر الناس عنهم، بل كان بيانهم للحق -وهو التوحيد-بياناً شافياً كافياً في جمل مضيئة تأخذ بمجامع القلوب، فتهدي المدعوين إلى الحق وهذا ظاهر في قولهم {رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ}. فأخذوا يدعون إلى الله جل وعلا بالكلام الحسن الذي تقبله القلوب.

ثم نَهوا عن الشرك بقولهم {لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطٗا }. فقولهم هذا نهيٌ عن الشرك بأسلوبٍ حكيمٍ؛ فأصحاب الكهف أول من امتثل مجانبة الشرك ومنابذة الإشراك بالله، وهذه دعوةٌ منهم بحكمةٍ في إخلاصٍ وأناةٍ وحلمٍ وإصابةٍ.

والدعوة إلى التوحيد ونبذ الشرك هو العدل، فالعدل أن يقوم العبد لله بتوحيده سبحانه وحده، والظلم أن يتخذ العبد لله نداً ويدعو من دونه إلهاً آخر، ولذلك قال لقمان لابنه {يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ}[سورة لقمان:١٣]، فظهرت لنا حكمة أصحاب الكهف وحلمهم وأناتهم في دعوتهم إلى الله سبحانه، وسلوكهم طريق العدل، وإصابتهم الحق؛ فقد وفقوا للتوحيد ثم دعوا إليه وجانبوا الشرك ثم نهوا عنه وهذا هو العدل.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٤٥٢)

وأنت تلاحظ حينما تقرأ قصة دعوتهم إلى التوحيد أنهم لم ينتهجوا نهج المواجهة بقتالٍ أو سبابٍ، وإنما كان جهدهم صدعٌ بالحق في قولٍ حكيمٍ، دَعوا به إلى الله تعالى، وهكذا كانوا سالكين لطريق الدعوة من خلال عملهم بأسلوب الحكمة.

ولقد كان تركهم لأسلوب المواجهة القولية أو العملية لقومهم من لوازم حكمتهم ومقتضاها، فمن كمال عقولهم ورشدهم أنهم عرفوا وأدركوا أن المواجهة لا تثمر إقبال قومهم على دعوتهم، ولا تحقق نصراً يؤيدون به، وأن البلاغ لدين الله في ثباتٍ ويقينٍ أعظم وأنفع في حصول هداية قومهم.

فمن المعلوم أن المدعوين متى رأوا الداعية ثابتاً موقناً بما يدعو إليه، مستقيماً على الخير أقبلوا على سماع حججه وتأمل ما يدعو إليه فلما رأى أصحاب الكهف أنهم بلغوا دين الله وأقاموا الحجة وحصل البلاغ رأوا اعتزال قومهم هو سبيل النجاة بدينهم وأنفسهم بعد ما علموه من عزم مليك مدينتهم على البطش بهم وفتنتهم عن دينهم ولذلك قالوا: {وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا} [سورة الكهف:١٦].

ولم يكن من تدبير أهل الكهف فيما يظهر لي من الآيات أن يقيموا كل حياتهم في ذلك الكهف ولعله –والله أعلم– أن تلك الإقامة في نظرهم كانت مرحلة يتخلصون بها من شرور قومهم، حتى يجدوا مخرجاً دائماً لهم، يقيمون من خلاله دينهم في أمن وطمأنينة.

فظهر لهم أن اعتزالهم لقومهم ولجوءهم إلى الكهف حتى يجعل الله لهم فرجاً ومخرجاً هو السبيل الأمثل –بعد تبليغ دين الله– في حصول نجاتهم من كل فتنةٍ وبلاء.

المطلب الثاني: أسلوب الجدل

من المعلوم أن الدعوة بأسلوب الجدل مشروعة قال تعالى: {ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥} [سورة النحل:١٢٥].

قال البيضاوي: وجادلهم وجادل معانديهم، بالتي هي أحسن: بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة؛ من الرفق واللين وإيثار الوجه الأيسر، والمقدمات التي هي أشهر،فإن ذلك أنفع في تسكين لهبهم وتبيين شغبهم(١).

(١) أنوار التنزيل للبيضاوي (٣/٢٤٥)

ومن نظر في سِيَر رسل الله يجد أنهم دعوا إلى الله بأسلوب الجدل، والآيات الدالة على ذلك كثيرة في كتاب الله تعالى، وكذلك فإننا نجد أتباع الرسل يدعون بأسلوب الجدل؛ ومن هؤلاء أصحاب الكهف فقد جادلوا قومهم في دعوتهم لهم للتوحيد ونهيهم عن الشرك، ويدل على ذلك قوله تعالى -حاكياً عن أصحاب الكهف أنهم قالوا-: {هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا} [سورة الكهف:١٥].

فدل على أنهم حاججوهم بالبينات فقرر أصحاب الكهف عقيدة التوحيد، وطلبوا من قومهم إيجاد دليل وسلطانٍ على ما يّدعونه من مشروعية الشرك وأنه دين الحق، ولذلك قال أصحاب الرقيم:{لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖ} [سورة الكهف:١٥].ولا شك أن هذه الإشارة القرآنية يدل ظاهرها على ما أشار إليه المفسرون في ذكرهم لقصة أهل الكهف من حصول جدلٍ بين أصحاب الكهف وبين مَن دعوهم إلى توحيد الله تبارك وتعالى ونهوهم عن الشرك(١).

المطلب الثالث: أسلوب الموعظة

مدار أسلوب الموعظة على الترغيب والترهيب فهما قوام الموعظة الحسنة؛ فالموعظة ترغيب وترهيب؛ ترهيب من شناعة الذنب وآثاره وعقوباته، وتخويف من عقاب الله على ذلك الذنب، والترغيب هو بيان فضل العمل الصالح وآثاره وبركته في الدارين.

ونجد أن الأنبياء جميعاً -كما أخبرنا كتاب الله – دعوا إلى سبيل الله بالترغيب والترهيب؛ فرغبوا فيما عند الله من الثواب لمن آمن وعمل صالحاً، وحذَّروا من عقاب عصيانه، وهكذا أتباع الرسل – كما أخبرنا القرآن-،وكذلك أصحاب الكهف دعوا قومهم بأسلوب الترغيب والترهيب.

ولكننا نجد -بحسب ظاهر الآيات في قصة أصحاب الكهف- أن القرآن لم يذكر إلا أسلوب الترهيب في تحذير أصحاب الكهف لقومهم من عبادة غير الله وتحذيرهم من الشرك؛ وذلك في قوله تعالى: {فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ١٥} [سورة الكهف:١٥]، فالشرك كذبٌ على الله وافتراء عليه، وهو ظلمٌ عظيم، ومعلوم أن عاقبة الظلم الخسارة والبوار والعذاب الأليم، فأنذر أصحابُ الكهف قومَهم من الظلم فتضمن ذلك واستلزم -أعني: تحذيرهم من الظلم- إنذارهم من عقوبة هذا الظلم.

(١) سبق في (ص:)

وتبقى هنا مسألة: هل دَعا أصحاب الكهف قومَهم بالترغيب في دعوتهم لهم إلى التوحيد؟

أقول –والله تعالى أعلم– أنهم دعوهم بالترغيب، وذلك أن من دعا إلى شيءٍ فقد رغب فيه، ورغب في ثوابه، وهؤلاء دعوا إلى توحيد الله ولزوم طاعته؛ قال سبحانه في وصف دعوتهم: {إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا } [سورة الكهف:١٤]، فدعوتهم إلى التوحيد ترغيبٌ فيه، ومستلزمة لبيان فضل التوحيد، فلا يدعو إنسانٌ لأمرٍ إلا ويبين فضله، فكيف بدعاةٍ صالحين ذكر الله فضائلهم، وأثنى عليهم وزكاهم، فلابد أنهم سلكوا سبيل بيان فضل التوحيد، وهذا اللائق بهم وبمقامهم وحكمتهم في الدعوة إلى الله.

المطلب الربع: الوسائل التي أفاد منها أصحاب الكهف في دعوتهم:

لابد من إشارة إلى تعريف وسائل الدعوة إلى الله تعالى:

الوسيلة لغة: ما يُتوصل ويُتقرب به إلى الشيء(١).

وأما تعريفها اصطلاحاً –ففي نظري– أنها: ما يتوصل به الداعية إلى حسن القيام بدعوته؛ من وسائل مشروعة معنوية أو مادية.

ثم إن القرآن لم يحدثنا في قصة أهل الكهف إلا عن وسيلتين؛ وهما:

-**وسيلة الانتقال بالدعوة**، فإن أصحاب الكهف ذهبوا إلى مجامع قومهم في أعيادهم وغيرها، فدعوا إلى الله كما ذكر ذلك المفسرون(٢).

وأوضح دليل على انتقالهم بالدعوة ما جاء في قوله سبحانه: {إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ} [سورة الكهف:١٤]، فالمقصود بقيامهم ليس وقوفهم فحسب، ولا أنهم دعوا، بل حراكهم بالدعوة، وهذا هو شأن رسل الله جميعاً؛ فقد كانوا يغشون مجامع أقوامهم، وينتقلون بدعوتهم.

فهذا خاتم الرسل والأنبياء نبينا محمد ﷺ كان ينتقل بالدعوة فقد انتقل بدعوته إلى الطائف(٣)،وكان يلتقي بقبائل العرب يعرض نفسه عليهم ويدعوهم إلى الله في المواسم وغيرها(٤)، وهكذا أصحابه كانوا ينتقلون بالدعوة فقد بعث ابن أم مكتوم ومصعب بن

(١) انظر: تهذيب اللغة للأزهري، باب السين واللام (٤٨/١٣)، الصحاح للجوهري، باب وسل(١٨٤١/٥).

(٢) انظر: (ص:).

(٣) انظر: سيرة ابن هشام (٤٨/٢).

(٤) انظر: المرجع السابق (٥٠/٢).

عمير –رضي الله عنهما– يعلمان الناس في المدينة قبل هجرته ﷺ إلى المدينة[1]، وبعث ﷺ معاذا وأبا موسى إلى اليمن يعلمان ويدعوان الناس إلى الله تعالى[2].

-**وسيلة القول**، وجاء ذكرها في قوله سبحانه: {إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ} [سورة الكهف:١٤]،فهذه الآية والتي تليها ذكرتا أنهم قالوا أقوالاً عديدة في دعوتهم قومهم إلى التوحيد، ومن المعلوم أن القول وسيلة دعوية.

والقول يكون وعظاً–من ترهيب وترغيب–، ويكون جُملاً يجادل بها الداعية المدعو، ولا يتصور أن ما قاله أصحاب الكهف لقومهم منحصرٌ في جمل معدودة؛ فمن إعجاز القرآن الإيجاز الشامل لذكر معانٍ كثيرة، ومن ذلك ما جاء هنا في هذه الجزئية من هذه الآية، والتي يَفهم بها المتأمل لكتاب الله أن أصحاب الكهف حدثوا قومهم حديثاً مديداً في مدة زمنية، وبقدر لا يعلمه إلا الله سبحانه.

وقد يقول قائل:إن أصحاب الكهف أفادوا من وسيلة ثالثة تستلزمها وسيلة إفادتهم من وسيلة القول ألا وهي الخطابة في قومهم! وله أن يستدل بقوله سبحانه {إِذْقَامُواْفَقَالُواْ رَبُّنَارَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ} [سورة الكهف:١٤]، فالقيام يكون بقول، وصفة هذا القول يظهر منها أن كلمات وجمل ألقاها هؤلاء الفتية وهذا نوع من الخطابة!

لكن أقول: هذا محتمل ولا يمكننا الجزم بأنهم خطبوا خطباً في قومهم، وإن كانت الجزئية من الآية الواردة تشير إلى احتمالية أخذهم بهذه الوسيلة.

المبحث الثالث: ما تعرضوا له من فتنة.

إن أتباع الرسل واجهوا الأذى والفتن في تبليغ دعوتهم إلى التوحيد.

ولقد كان أصحاب الكهف من المتبعين للدين الذي جاء به عيسى عليه السلام وهو دين التوحيد، فدعوا قومهم بحكمة، وبالحجج، فقابلهم قومهم بالوعيد والتخويف والتضييق حتى اضطُروا للخروج من مدينتهم هاربين بدينهم.

ومما يدل على ذلك قوله سبحانه: {وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا} [سورة الكهف:١٤]، والربط هنا يتضمن تثبيت قلوبهم وتصبيرهم، ولا يكون هذا الربط على القلوب إلا في شدة ومشقة وخوف عظيم، فلم يكن بلاغهم لدين الله خطباً ومواعظَ تُلقى لا تجد من ينكرها ويعارضها وينابذ قائليها، بل إن قومهم كانوا منابذين لدعوة الحق.

(١) انظر: صحيح البخاري باب مقدم النبي صلى الله عليه وأصحابه (٦٦/٥).

(٢) انظر: المرجع السابق، باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع، (١٦١/٥).

وقد ذكرتُ–آنفاً– أن ملك تلك المدينة توعَّد الفتية المؤمنة قبل خروجهم من مدينتهم، مما جعل قيامهم بدعوتهم مخاطرة انتهت بهم إلى لجوؤهم إلى الكهف،فالقرآن أخبرنا أنهم اتخذوا رأيهم بحزم بأن يأووا إلى الكهف، وذلك في قوله تعالى: {فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا} [سورة الكهف:١٦]، فلم يلجأوا إلى الكهف إلا من خوفٍ نزل بهم، وهروباً من بطشٍ خافوه، وهذا دالٌ على ما نزل بهم من فتنةٍ في الدين.

قال ابن كثير: فلما وقع عزمهم على الذهاب والهرب من قومهم، واختار اللهُ تعالى لهم ذلك، وأخبر عنهم بذلك في قوله: {وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ} [سورة الكهف:١٦]. أي: وإذ فارقتموهم وخالفتموهم بأديانكم في عبادتهم غير الله، ففارقوهم أيضاً بأبدانكم {فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ}، أي: يبسط عليكم رحمة يستركم بها من قومكم(١).

وإن المتأمل لقصة أصحاب الكهف يجد أن الخوف كان ملازماً لهم حتى بعد بعثهم، وذلك ظاهر في قولهم: {وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾} [سورة الكهف:١٩].

ولقد ذكر القرآن ما واجهه أصحاب الكهف من تخوفهم من قومهم لو عثروا عليهم، وهي فتنةٌ على ضربين:

الأول: تخوفهم من أن يرجمهم قومهم.

الثاني: تخوفهم من أن يجبرهم قومهم على العودة إلى ملة قومهم.

وهذا دالٌ على ملازمة الخوف لهم من قومهم حتى بعد بعثهم.

قال الخازن: {وَلْيَتَلَطَّفْ}؛ أي: وليترفق في الطريق وفي المدينة، ولـيكن في ستر وكتمان،{وَلَا يُشْعِرَنَّ}؛ أي: ولا يعلمن بكم أحداً، أي: من الناس، {إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ} [سورة الكهف:٢٠]، أي: يعلموا بمكانكم {إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ} قيل معناه يشتموكم ويؤذوكم بالقول وقيل يقتلوكم، وكان من عادتهم القتل بالحجارة وهو أخبث القتل وقيل يعذبوكم أو يعيدوكم في ملتهم أي الكفر ولن تفلحوا إذا أبدا أي إن عدتم إليه(٢).

(١) تفسير القرآن العظيم (١٤٢/٥)

(٢) لباب التأويل (١٦٠/٣).

وقال ابن عطية:" «وَلْيَتَلَطَّفْ» أي في اختفائه وتحيله. وقرأ الحسن «وَلِيَتَلَطَّفْ» بكسر اللام، والضمير في «إِنَّهُمْ» عائدٌ على الكفار آل دقيوس، و «يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ»، معناه: يثقفوكم بعلوهم وغلبتهم. وقولهم «يَرْجُمُوكُمْ» قال الزجاج معناه بالحجارة.قال القاضي أبو محمد: وهو الأصح، لأنه كان عازماً على قتلهم لو ظفر بهم، والرجم فيما سلف هي كانت على ما ذكر قتلة مخالف دين الناس؛ إذ هي أشفى لحملة ذلك الدين، ولهم فيها مشاركة"[1].

(١) المحرر الوجيز (٥٠٦/٣).

الفصل الثالث: الدروس الدعوية المستنبطة من قصتهم.

وفيه مبحثان

المبحث الأول: دروس خاصة بالدعاة، وفيه ثمانية مطالب

المطلب الأول: الإخلاص لله

قال تعالى: {فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا} [سورة الكهف:١١٠].

وقال سبحانه: {وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ} [سورة البينة:٥].

وقال تعالى: {أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ} [سورة الزمر:٣].

وقال الله تعالى:{فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ} [سورة الزمر:٢].

وقوله تعالى: {قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ} [سورة الأنعام:١٦٢– ١٦٣].

وقال تعالى:{ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ} [سورة الملك:٢].

روى الشيخان من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى ...)[(١)].

قال الفضيل بن عياض رحمه الله: هو أخلصه وأصوبه.قالوا:يا أبا يعلى: ما أخلصه وأصوبه؟ فقال:إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل، حتى يكون خالصا صوابا، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة، ثم قرأ قوله تعالى: {فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا} [سورة الكهف:١١٠][(٢)].

ومن وصايا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لأصحابه: (كونوا ينابيع العلم مصابيح الهدى، أحلاس البيوت، سرج الليل، جدد القلوب، خلقان الثياب، تعرفون في أهل السماء، وتخفون في أهل الأرض) [(٣)].

كان محمد بن واسع رحمه الله يجلس قريبا من أحد الوعاظ وهو يعظ الناس ويقول: مالي أرى القلوب لا تخشع، والعيون لا تدمع، والجلود لا تقشعر ؟ فقال له

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (١)، ومسلم في صحيحه رقم (١٩٠٧).

(٢)انظر: مدارج السالكين لابن القيم ٩٣/٢.

(٣) رواه الدارمي في سننه ٩٢/١، وابن أبي الدنيا في التواضع والخمول (ص ٣٤).

محمد بن واسع: " ما أرى القوم أتوا إلا من قبلك، إن الذكر إذا خرج من القلب وقع في القلب[1].

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: " والدعوة النابعة عن إخلاص مع القوة والعزيمة والاعتماد على الله لابد أن تؤثر وتعمل عملها.. ألا ترى إلى قصة موسى حين حشد الناس له ضحى يوم زينتهم، وجمع له فرعون كيده، ثم أتى بأبهته وعزته وكبريائه {قال لهم موسى ويلكم {قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيۡلَكُمۡ لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا فَيُسۡحِتَكُم بِعَذَابٖۖ وَقَدۡ خَابَ مَنِ ٱفۡتَرَىٰ} [سورة طه:٦١] فماذا فعلت هذه الكلمة ؟ لقد فرقت كلمتهم وشتتت شملهم في الحال {فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ} [سورة طه:٦٢] والتنازع أكبر أسباب الفشل[2].

المطلب الثاني: وجوب اتصاف الداعية بالصبر:

في سورة الكهف قال الله تعالى: {وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨} [سورة الكهف:٢٨].

وقوله تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ} [سورة البقرة:١٥٣]، وقوله عز وجل: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ} [سورة آل عمران:٢٠٠]، وقوله: {وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ} [سورة المدثر:٧]، وقال عز من قائل:{فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلٗا} [سورة المعارج:٥]، وقال تعالى: {وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا} [سورة المزمل:١٠]، وقوله: {أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ} [سورة القصص:٥٤]، وقوله:{لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗاۚ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ} [سورة آل عمران:١٨٦]، وقوله: {وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ} [سورة النحل:١٢٧]، وقوله:{فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ} [سورة غافر:٧٧]، وقوله تعالى:{وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ} [سورة العصر:١-٣]، وفي وصايا لقمان لابنه: {يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٣٥١/٢.

(٢)رسالة إلى الدعاة (ص ٢٧).

ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ} [سورة لقمان:١٧]، قال عز وجل: {إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ} [سورة الزمر:١٠]، وقال تعالى:{مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ} [سورة النحل:٩٦]، وقال عز وجل: {أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ} [سورة القصص:٥٤]، وحكى الله عن يوسف عليه الصلاة والسلام حينما سألوه إخوته عن حاله:{قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ} [سورة يوسف:٩٠].

وقال سبحانه على لسان الأنبياء: {وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ١٢} [سورة إبراهيم:١٢].

وقال تعالى: {وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدۡ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيٱلۡمُرۡسَلِينَ ٣٤} [سورة الأنعام:٣٤].

فمن أراد النصر فعليه بالصبر، قال تعالى:{وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْ} [سورة الأعراف:١٣٧].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم) (١).

وفي صحيح مسلم عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "والصبر ضياء"(٢).

قال النعمان بن بشير رضي الله عنه: إنه لم يبق من الدنيا إلا بلاء وفتن، فأعدوا للبلاء صبرا(٣).

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا ذهب الصبر ذهب الإيمان»(٤).

قال ابن تيمية رحمه الله: «قد ذكر الله الصبر في كتابه في أكثر من تسعين موضعا، وقرنه بالصلاة في قوله تعالى:{وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ} [سورة البقرة:٤٥]، وجعل الإمامة في الدين موروثة عن الصبر واليقين بقوله:

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد رقم (٣٨٨)، وأحمد في المسند ٤٣/٢، والترمذي في سننه رقم (٢٥٠٧)، وابن ماجه في سننه رقم (٤٠٣٢)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٦١٤/٢.

(٢) رواه مسلم في صحيحه رقم (٢٢٣).

(٣) رواه أحمد في المسند ٩٤/٤، وابن ماجه في سننه رقم (٤٠٣٥).

(٤) رواه ابن أبي شيبة في المصنف ١٧٢/٦، والبيهقي في شعب الإيمان ٧١/١.

{وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ} [سورة السجدة:٢٤]، فإن الدين كله علم بالحق وعمل به، والعمل به لا بد فيه من الصبر؛ بل وطلب علمه يحتاج إلى الصبر، كما قال معاذ بن جبل رضي الله عنه: (عليكم بالعلم، فإن طلبه لله عبادة، ومعرفته خشية، والبحث عنه جهاد...)، فجعل البحث عن العلم من الجهاد، ولا بد في الجهاد من الصبر، ولهذا قال الله تعالى: {وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ}[سورة العصر:١-٣](١).

ولذلك قال ابن القيم رحمه الله: ومن منازل{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [سورة الفاتحة:٥]: منزلة الصبر، وهو واجب بإجماع الأمة. وهو نصف الإيمان. فإن الإيمان نصفان: نصف صبر، ونصف شكر، وهو مذكور في القرآن على ستة عشر نوعا- فذكرها كلها، ثم قال- الخامس عشر: أنه يورث صاحبه درجة الإمامة، سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول: بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين. ثم تلا قوله تعالى:{وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ}[سورة السجدة:٢٤](٢).

المطلب الثالث: الثبات:

وقال تعالى: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ} [سورة إبراهيم:٢٧].

قال قتادة رحمه الله: أي يثبتهم في الحياة الدنيا بالخير والعمل الصالح، وفي الآخرة يثبتهم في القبر عند سؤال الملكين.

وقال الله تعالى:{وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا}[سورة الإسراء:٧٤]ـــ وقال تعالى:{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ۝٣٢} [سورة الفرقان:٣٢]، وقال تعالى: {إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا} [سورة الأنفال:١٢]، قال الله تعالى: {وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا} [سورة النساء:٦٦]، وقال الله تعالى: {قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ} [سورة النحل:١٠٢]، وقال الله تعالى: {رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ۝٨} [سورة آل عمران:٨].

---

(١) مجموع الفتاوى ٣٩/١٠.

(٢) مدارج السالكين ١٥١/٢- ١٥٣.

وقال تعالى على لسان عباده المؤمنين:{رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٥٠} [سورة البقرة:٢٥٠]، وقال الله تعالى: {إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ٧} [سورة محمد:٧]، وقال تعالى:{مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ٢٣} [سورة الأحزاب:٢٣، وقوله تعالى:{وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ١٢٠} [سورة هود:١٢٠]،.

قول الله عز وجل في قصة إبراهيم عليه السلام وقومه:{قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ٦٨ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ٧٠} [سورة الأنبياء:٦٨-٧٠].

روى البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «كان آخر قول إبراهيم حين ألقي في النار: حسبي الله ونعم الوكيل»[(١)].

وقول الله عز وجل في قصة موسى وعن ثباته:{فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ٦١ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ٦٢} [سورة الشعراء:٦١-٦٢].

وعن ثبات السحرة لما آمنوا وقول فرعون لهم يهددهم: {قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰ } [سورة طه:٧١].

وفي ثبات القلة المؤمنة الذي لا يشوبه أدنى تراجع وهم يقولون:{قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ} [سورة طه:٧٢].

وعن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكثر في دعائه أن يقول: (اللهم مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك)، قلت: يا رسول الله ما أكثر دعاءك يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك؟ قال: إنه ليس آدمي إلا وقلبه بين أصبعين من أصابع الله فمن شاء أقام ومن شاء أزاغ[(٢)].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فقلت: يا رسول الله آمنا وبك وبما

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (٤٥٦٤).

(٢) رواه الترمذي في سننه رقم (٣٥٢٢)، وأحمد في المسند ٣٠١/٦. وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ١٢٦/٥.

جئت به فهل تخاف علينا ؟ قال نعم إن القلوب بين إصبعين من أصابع الله يقلبهما كما يشاء[١].

قال الإمام البيضاوي رحمه الله: «في نسبة تقلب القلوب إلى الله إشعار بأنه يتولى قلوب عباده، ولا يكلها إلى أحد من خلقه، وفي دعائه صلى الله عليه وسلم:(يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك)إشارة إلى شمول ذلك للعباد حتى الأنبياء، ورفع توهم من يتوهم أنهم يستثنون من ذلك، وخص نفسه بالذكر إعلاما بأن نفسه الزكية إذا كانت مفتقرة إلى أن تلجأ إلى الله سبحانه فافتقار غيرها ممن هو دونه أحق بذلك»[٢].

ومما يروى عن عبد الله بن حذافة السهمي رضي الله عنه أنه لما أسروه جوعوه أياما–وذلك في خلافة عمر بن الخطاب– ثم أحضروا له طعاما فيه لحم خنزير، وخمرا بدل الماء، فأبى أن يأكل وأشرف على الموت، فأحضروه وسألوه فقال: والله لقد كان لي في أكلها رخصة ولكن أردت ألا أشمتكم في الإسلام[٣].

ولما سئل بلال بن رباح رضي الله عنه: لماذا كنت تقول أحد أحد؟ قال: والله لو علمت كلمة أغيظ لهم منها لقلتها[٤].

عن أبي جعفر الأنباري رحمه الله قال: «لما حمل أحمد إلى المأمون أخبرت، فعبرت الفرات، فإذا هو جالس في الخان فسلمت عليه، فقال: (يا أبا جعفر، تعنيت)، فقلت: (يا هذا، أنت اليوم رأس والناس يقتدون بك، فوالله، لئن أجبت إلى خلق القرآن ليجيبن خلق، وإن لم تجب ليمتنعن خلق من الناس كثير، ومع هذا فإن الرجل إن لم يقتلك فإنك تموت، لا بد من الموت، فاتق الله ولا تجب)، فجعل أحمد يبكي ويقول: (ما شاء الله)، ثم قال: (يا أبا جعفر، أعد)، فأعدت عليه وهو يقول: (ما شاء الله)» [٥].

وبلغ المعز العبيدي حاكم مصر الباطني الرافضي كلام عن الإمام أبي بكر النابلسي فأحضره المعز وقال له: بلغنا أنك تقل لو أن عندك عشرة أسهم لوجهت تسعة منها للكفار وواحدا إلينا. قال الشيخ ما قلت هكذا، ولكن قلت: لو أن عندي عشرة سهام لوجهت بواحد إلى الكافرين وتسعة إليكم (أي الرافضة)، فأمر المعز جزارا يهوديا

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد رقم (٦٨٣)، والترمذي في سننه رقم (٢١٤٠)، وأحمد في المسند ١١٢/٣. وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (ص ٢٥٣).

(٢)انظر:فتح الباري، لابن حجر ١٣/ ٣٧٧.

(٣)انظر:أسد الغابة لابن الأثير ٣/ ٢١٢، سير أعلام النبلاء للذهبي ٢/ ١٤.

(٤)انظر:تاريخ دمشق لابن عساكر ٤٤١/١٠، سير أعلام النبلاء للذهبي ٣٥٢/١.

(٥)انظر:سير أعلام النبلاء للذهبي ١١/ ٢٣٨.

بسلخه حيا، فما زال يسلخه والشيخ يقرأ القرآن حتى بلغ قلبه فأشفق اليهودي عليه فطعنه في قلبه فقتله(١).

قال ابن القيم رحمه الله حاكيا عن نفسه وأصحابه: "وكنا إذا اشتد بنا الخوف وساءت منا الظنون وضاقت بنا الأرض أتيناه – أي شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله– فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله عنا وينقلب انشراحا وقوة ويقينا وطمأنينة"(٢).

وقد قال بعضهم: «ليحذر اللبيب من سرعة انقلاب قلبه؛ إذ ليس بين القلب والقلب إلا التفخيم، وما يعقلها إلا كل ذي فهم مستقيم»(٣).

المطلب الرابع: العلم:

قال تعالى:{قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} [سورة الزمر:٩]، وقال تعالى:{يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ} [سورة المجادلة:١١]، وقال سبحانه: {قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ} [سورة يوسف:١٠٨]، وقال تعالى: {إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟} [سورة فاطر:٢٨]، وقال تعالى:{فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾}[سورة النحل:٤٣].

وقال تعالى: {قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى}[سورة الأنعام:٥٧]؛ قال الإمام القرطبي رحمه الله: أي دلالة ويقين وحجة وبرهان، لا على هوى؛ ومنه البينة لأنها تبين الحق وتظهره(٤).

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره: أي: على بصيرة من شريعة الله التي أوحاها إليَّ(٥).

قال الله تعالى: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ} [سورة فصلت:٣٣].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: ولا يتم الإيمان إلا بتلقي المعرفة من مشكاة النبوة وتجريد الإرادة عن شوائب الهوى وإرادة الخلق؛ فيكون علمه مقتبسا من مشكاة الوحي

(١)انظر: البداية والنهاية لابن كثير ٣٢٢/١١.

(٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص ٤٨).

(٣)انظر:عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني ١/ ٢٩٨.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٤٣٨/٦.

(٥) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ٢٦٤/٣.

وإرادته لله والدار الآخرة؛ فهذا أصح الناس علما وعملا، وهو من الأئمة الذين يهدون بأمر الله، ومن خلفاء رسوله في أمته[1].

وقال تعالى محذرا عباده من طرق إبليس: {إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [سورة البقرة:١٦٩].

وقال تعالى:{فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾} [سورة محمد:١٩].

وقد بوب الإمام البخاري رحمه الله تعالى لهذه الآية بقوله: باب العلم قبل القول والعمل.

نقل الحافظ ابن حجر عن الإمام ابن المنير رحمه الله أنه قال: أراد ــ يعني البخاري ــ أن العلم شرط في صحة القول والعمل فلا يعتبران إلا به، فهو متقدم عليهما، لأنه مصحح للنية المصححة للعمل[2].

وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رءوسا جهالا، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا»[3].

وفي الصحيحين عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين»[4].

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (عليكم بالعلم فإن أحدكم لا يدري متى يفتقر إليه أو إلى ما عنده[5].

وقال سفيان الثوري رحمه الله: يراد للعلم: الحفظ، والعمل، والاستماع، والإنصات، والنشر[6].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: والعلم ما قام عليه الدليل، والنافع منه ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد يكون علم من غير الرسول صلى الله عليه وسلم، لكن في أمور دنيوية، مثل: الطب، والحساب، والفلاحة، والتجارة[7].

---

(١) الفوائد (ص ٨٥).

(٢) فتح الباري لابن حجر ١/١٦٠.

(٣) رواه البخاري في صحيحه رقم (١٠٠)، ومسلم في صحيحه رقم (٢٦٧٣).

(٤) رواه البخاري في صحيحه رقم (٧١)، ومسلم في صحيحه رقم (١٠٣٧).

(٥)انظر: جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ١/٨٧.

(٦)أخرجه الدارمي في سننه ١ / ٨١.

(٧)فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٣/ ١٣٦، ٦/ ٣٨٨.

وقال ابن القيم رحمه الله: "ومن أحالك على غير أخبرنا وحدثنا فقد أحالك: إما على خيال صوفي، أو قياس فلسفي، أو رأي نفسي. فليس بعد القرآن وأخبرنا وحدثنا إلا شبهات المتكلمين، وآراء المنحرفين، وخيالات المتصوفين، وقياس المتفلسفين، ومن فارق الدليل ضل عن سواء السبيل، ولا دليل إلى الله والجنة سوى الكتاب والسنة. وكل طريق لم يصحبها دليل القرآن والسنة فهي من طرق الجحيم والشيطان الرجيم"(١).

قال الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله: الداعي إلى الله لا بد أن يكون على بصيرة؛ لأن الله يقول جل وعلا:{قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ} [سورة يوسف:١٠٨].

لا بد أن يكون عنده علم، لا بد أن يكون عنده علم من القرآن العظيم، والسنة المطهرة، فإذا كان عنده علم وبصيرة من الأدلة القرآنية، والأدلة الحديثية عن الرسول صلى الله عليه وسلم،فإنه يدعو إلى الله حسب علمه سواء كان متخرجا من كليات الشريعة، أو كليات الدعوة، أو كليات الحديث، أو كليات في القرآن، أو درس في المساجد على العلماء.فالمقصود: إذا كان عنده علم بالقرآن والسنة فإنه يدعو إلى الله، ويعلم الناس دينهم،ويرشدهم إلى توحيد الله وعبادته، ويعلمهم ما أوجب الله عليهم، ويحذرهم ما حرم الله عليهم، ويرغب ويرهب كما شرع الله(٢).

المطلب الخامس: اتصاف الداعية بالحكمة:

قال الإمام النووي رحمه الله: وأما الحكمة ففيها أقوال كثيرة مضطربة قد اقتصر كل من قائليها على بعض صفات الحكمة، وقد صفا لنا منها: أن الحكمة عبارة عن العلم المتصف بالأحكام، المشتمل على المعرفة بالله تبارك وتعالى المصحوب بنفاذ البصيرة، وتهذيب النفس، وتحقيق الحق والعمل به والصد عن اتباع الهوى والباطل، والحكيم من له ذلك. قال أبو بكر بن دريد:« كل كلمة وعظتك وزجرتك أودعتك إلى مكرمة أو نهتك عن قبيح فهي حكمة وحكم»(٣).

قال تعالى: {ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ} [سورة النحل:١٢٥].

قال الحافظ بن كثير في تفسيره: يقول الله تعالى لعبده ورسوله إلى الثقلين الإنس والجن آمرا له أن يخبر الناس أن هذه سبيله أي طريقته ومسلكه وسنته، وهي الدعوة

(١) مدارج السالكين ٢/٤٣٩.

(٢)انظر: فتاوى على الدرب ١٨/٢٧٨.

(٣)شرح النووي على صحيح مسلم ٢ / ٣٣.

إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يدعو إلى الله بها على بصيرة من ذلك، ويقين، وبرهان، وهو وكل من اتبعه يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، على بصيرة ويقين وبرهان عقلي وشرعي(١).

وقال الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله: الحكمة: العلم، قال الله قال رسوله ووضعها في المحل المناسب، هذه الحكمة أن تكلم بالحق في الوقت المناسب والمحل المناسب(٢).

وقد قال تعالى:{يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ} [سورة البقرة:٢٦٩].

وقوله سبحانه:{وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾} [سورة لقمان:١٢].

والحكمة المقرونة في الكتاب العزيز كما سيأتي المراد بها السنة، فسرها بذلك الإمام الشافعي، والإمام ابن القيم وغيرهما(٣).

وقول الله تعالى:{رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ } [سورة البقرة:١٢٩]، وقوله:{وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ} [سورة البقرة:٢٣١]، وقال: {لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ} [سورة آل عمران:١٦٤]، وقال: {هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾} [سورة الجمعة:٢].

قال الشيخ سعيد بن علي القحطاني رحمه الله: إذا أراد الداعية أن يزداد حلمه، وتعظم حكمته، فليحرص على الأسباب التي تدعو إلى الحلم، فليعمل بها، وهي عشرة:

١- الرحمة بالجهال.

٢- القدرة على الانتصار؛ وذلك من سعة الصدر، وحسن الثقة.

٣- الترفع عن السباب، وذلك من شرف النفس وعلو الهمة.

---

(١)تفسير ابن كثير ٤ / ٤٢٢.

(٢)انظر: فتاوى على الدرب ٣١٩/١٨.

(٣)انظر:مدارج السالكين لابن القيم ٢ / ٤٧٨، والتفسير القيم (ص ٢٢٧).

٤- الاستهانة بالمسيء.
٥- الاستحياء من جزاء الجواب، وهذا من صيانة النفس وكمال المروءة.
٦- التفضل على الساب، وهذا من الكرم وحب التألف.
٧- قطع السباب.
٨- الخوف من العقوبة على الجواب، وهذا مما يقتضيه الحزم.
٩- الرعاية ليد سالفة، وحرمة لازمة، وهذا من الوفاء وحسن العهد.
١٠- المكر وتوقع الفرص الخفية، وهذا من الدهاء(١).

المطلب السادس: انتهاج الداعية لين الخطاب وجميل القول في دعوته:

فقال:{ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ} [سورة النحل:١٢٥].

قال الحافظ بن كثير في تفسيره: {وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ} أي: بما فيه من الزواجر والوقائع بالناس ذكرهم بها، ليحذروا بأس الله تعالى.وقوله: {وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ} أي: من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال، فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب، كما قال: {وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ} [سورة العنكبوت:٤٦]فأمره تعالى بلين الجانب، كما أمر موسى وهارون، عليهما السلام، حين بعثهما إلى فرعون فقال: {فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ}[سورة طه:٤٤](٢).

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في معنى الآية: "ذكر سبحانه مراتب الدعوة، وجعلها ثلاثة أقسام بحسب حال المدعو؛ فإنه:إما أن يكون طالبا للحق، راغبا فيه، محبا له، مؤثرا له على غيره إذا عرفه؛ فهذا يدعى بالحكمة، ولا يحتاج إلى موعظة وجدال.وإما أن يكون مشتغلا بضد الحق، ولكن لو عرفه آثره واتبعه؛ فهذا يحتاج مع الحكمة إلى الموعظة بالترغيب والترهيب.وإما أن يكون معاندا معارضا؛ فهذا يجادل بالتي هي أحسن، فإن رجع وإلا انتقل معه من الجدال إلى الجلاد إن أمكن(٣).

(١) الحكمة في الدعوة إلى الله (ص ٦٠).
(٢)تفسير ابن كثير ٤ / ٦١٣.
(٣)الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ١٢٧٦/٤.

وقال رحمه الله في موضع آخر: "أطلق الله تعالى الحكمة ولم يقيدها بوصف الحسنة، إذ كلها حسنة، ووصف الحسن لها ذاتي، وأما الموعظة فقيدها بوصف الإحسان، إذ ليس كل موعظة حسنة[1].

وقال سبحانه: {وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا} [سورة البقرة:٨٣]، وقال سبحانه: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ} [سورة آل عمران:١٥٩]، وقال عز وجل لموسى وهارون:{ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ} [سورة طه:٤٣-٤٤]، وقال سبحانه: {وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ} [سورة العنكبوت:٤٦].

قال الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله: "تؤدي هذه الأوامر بالعبارات الحسنة والألفاظ اللينة التي ليس فيها عنف، هذه الموعظة الحسنة قال الله قال رسوله، يا عبد الله؛ هذا لا يجوز، اتق الله، يرحمك الله، هذا يجب عليك هذا يجب تركه، بعبارات لينة، مع بيان الأدلة قال الله كذا، قال الرسول كذا عليه الصلاة والسلام، هكذا تكون الحكمة والموعظة الحسنة، بالكلام الواضح من كلام الله وكلام رسوله مع الرفق وعدم العنف والشدة أو السب أو نحو ذلك، بل يكون كلام واضح لين، ليس فيه عنف ولكن فيه الرفق والكلام الطيب، والجدال بالتي هي أحسن عند المجادلة، إذا جادل من فعل المنكر تجادله بالتي هي أحسن إلا من ظلم؛ لقوله تعالى:{وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ} [سورة العنكبوت:٤٦]، من ظلم يستحق الجدال بمثل عمله[2].

المطلب السابع: التزام الرفق في دعوته:

الرفق هو: لين الجانب بالقول والفعل، والأخذ بالأسهل، وهو ضد العنف[3].

قال الله تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ} [سورة آل عمران:١٥٩].

أخرج الشيخان عن عائشة رضي الله عنها: "إن الله يحب الرفق في الأمر كله"[4].

---

(١) مدارج السالكين ٤٤٤/١.

(٢)انظر: فتاوى نور على الدرب ٣١٩/١٨.

(٣)انظر:فتح الباري لابن حجر ٤٤٩/١٠.

(٤) رواه البخاري في صحيحه رقم (٦٩٢٧)، ومسلم في صحيحه رقم (٢١٦٥).

وفي لفظ عند مسلم عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها: "إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف"(١).

وعنده أيضا من حديثها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه"(٢).

وفي صحيح مسلم أيضا من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من يحرم الرفق يحرم الخير"(٣).

وفي سنن الترمذي ومسند أحمد وغيرهما عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من الخير"(٤).

قال سفيان الثوري رحمه الله: "لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، إلا من كان فيه خصال ثلاث: رفيق بما يأمر رفيق بما ينهى، عدل بما يأمر عدل بما ينهى، عالم بما يأمر عالم بما ينهى"(٥).

وسئل الإمام مالك رحمه الله عن الرجل يعمل أعمالا سيئة؛ يأمره الرجل بالمعروف وهو يظن أنه لا يطيعه؟ فقال: "ما بذلك بأس، ومن الناس من يرفق به، فيطيع، قال الله:{فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا} [سورة طه:٤٤](٦).

وقال الإمام ابن بسام رحمه الله: وينبغي أن يكون-يعني المحتسب- شيمته الرفق في القول، وطلاقة الوجه، وسهولة الأخلاق عند أمره الناس ونهيه، فإن ذلك أبلغ في استمالة القلوب، وحصول المقصود، وقد قال الله تعالى: {وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ}[سورة آل عمران:١٥٩](٧).

وقال الإمام ابن ضياء الدين القرشي رحمه الله: على المحتسب أن يكون رفيقا لين القول عند الأمر والنهي(٨).

وجاء في الموسوعة الفقهية:حكم الرفق على وجه العموم الاستحباب، فهو مستحب في كل شيء؛... وقد يخرج عن الاستحباب، كالرفق بالوالدين، فإنه واجب، والرفق بالكفار

(١) رواه مسلم في صحيحه رقم (٢٥٩٣).

(٢) رواه مسلم في صحيحه رقم (٢٥٩٤).

(٣) رواه مسلم في صحيحه رقم (٢٥٩٢).

(٤) رواه الترمذي في سننه رقم (٢٠١٣)، وأحمد في المسند ٤٥١/٦. وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ١٥/٣.

(٥)انظر :الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأبي بكر الخلال (ص ٢٤).

(٦) الموطأ للإمام مالك بتحقيق الأعظمي ٢٦١/١.

(٧) نهاية الرتبة في طلب الحسبة (ص ٢٩٤).

(٨)معالم القربة في طلب الحسبة (ص ١٤).

الحربيين فإنه ممنوع؛ لقوله تعالى:{مُحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ} [سورة الفتح:٢٩][١].

المطلب الثامن: فرار الداعية من الفتن:

قال الله تعالى: {وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ} [سورة الكهف:١٦].

ويؤيده في السنة النبوية حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر، يفر بدينه من الفتن»[٢].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله عند تفسير الآية السابقة ثم ذكر حديث أبي سعيد فقال: وهذا هو المشروع عند وقوع الفتن في الناس، أن يفر العبد منهم خوفا على دينه... فلما وقع عزمهم على الذهاب والهرب من قومهم، واختار الله تعالى لهم ذلك، وأخبر عنهم بذلك في قوله: {وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ} أي: وإذا فارقتموهم وخالفتموهم بأديانكم في عبادتهم غير الله، ففارقوهم أيضا بأبدانكم {فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ} أي: يبسط عليكم رحمة يستركم بها من قومكم {وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم} أي الذي أنتم فيه، {مِّرْفَقًا}أي: أمرا ترتفقون به. فعند ذلك خرجوا هرابا إلى الكهف، فأووا إليه، ففقدهم قومهم من بين أظهرهم، وتطلبهم الملك فيقال: إنه لم يظفر بهم، وعمى الله عليه خبرهم. كما فعل بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وصاحبه الصديق، حين لجأ إلى غار ثور، وجاء المشركون من قريش في الطلب، فلم يهتدوا إليه مع أنهم يمرون عليه.... فقصة هذا الغار أشرف وأجل وأعظم وأعجب من قصة أصحاب الكهف[٣].

وقال د وهبة الزحيلي رحمه الله: أما قصة أصحاب الكهف فهي مثل عال، ورمز سام للتضحية بالوطن والأهل والأقارب والأصدقاء والأموال في سبيل العقيدة، فقد فر هؤلاء الشباب الفتية المؤمنون بدينهم من بطش الملك الوثني، واحتموا في غار في الجبل، فأنامهم الله ثلاث مائة وتسع سنين قمرية، ثم بعثهم ليقيم دليلا حسيا للناس على قدرته على البعث[٤].

---

(١) الموسوعة الفقهية الكويتية ٢٩١/٢٢.

(٢)رواه البخاري في صحيحه رقم (١٩).

(٣) تفسير القرآن العظيم ١٤١/٥.

(٤) التفسير المنير ١٩٨/١٥.

وفي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية) (١).

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله عند شرح حديث: (لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية): "والمعنى أن الهجرة التي هي مفارقة الوطن التي كانت مطلوبة على الأعيان إلى المدينة انقطعت، إلا أن المفارقة بسبب الجهاد باقية، وكذلك المفارقة بسبب نية صالحة كالفرار من دار الكفر والخروج في طلب العلم والفرار بالدين من الفتن، والنية في جميع ذلك"(٢).

المبحث الثاني: دروس دعوية خاصة بالدعوة عامة.

المطلب الأول: شرف القيام بالدعوة إلى الله سبحانه:

قال تعالى لنبينا محمد عليه الصلاة والسلام:{يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾} [سورة الأحزاب:٤٥- ٤٦].

الدعاة قولهم في مضمار أحسن الأقوال، وكلامهم في التبليغ أفضل الكلام قال تعالى: {وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ} [سورة فصلت:٣٣]، وقال تعالى في سورة يس: {وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ } [سورة يس:٢٠].

الدعاة هم خير هذه الأمة على الإطلاق، قال تعالى:{كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ} [سورة آل عمران:١١٠].

الدعاة إلى الله موعودون بالفلاح في الدنيا والآخرة، قال سبحانه: {وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ} [سورة آل عمران:١٠٤].

الدعاة إلى الله يشملهم الله برحمته:قال تعالى: {وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ} [سورة التوبة:٧١].

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (٢٧٨٣). وهو في صحيح مسلم برقم (١٨٦٤) من حديث عائشة رضي الله عنها.
(٢)فتح الباري ٣٩/٦.

الدعاة إلى الله هم الرابحون يوم يخسر الناس، وهم السعداء يوم يشقى الناس:قال تعالى: {وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣} [سورة العصر:١-٣].

والدعوة إلى الله من أسباب النصر على الأعداء، والتمكين في الأرض:قال تعالى:{ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ۝٤١} [سورة الحج:٤٠-٤١].

والدعوة إلى الله تدفع العذاب عن العباد:قال تعالى: {لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ۝٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ۝٧٩} [سورة المائدة:٧٨-٧٩].

والدعوة إلى الله مطلب مهم لمن أراد النجاة لنفسه:قال تعالى:{وَإِذۡ قَالَتۡ أُمَّةٞ مِّنۡهُمۡ لِمَ تَعِظُونَ قَوۡمًا ٱللَّهُ مُهۡلِكُهُمۡ أَوۡ مُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗاۖ قَالُواْ مَعۡذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ۝١٦٤} [سورة الأعراف:١٦٤].

والدعوة إلى الله من أسباب نيل عظيم الأجور، وتكثير الحسنات:قال تعالى: {لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ} [سورة النساء:١١٤].

والدعوة إلى الله من أسباب الفلاح في الدنيا والآخرة:قال تعالى:{وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝١٠٤} [سورة آل عمران:١٠٤].

يكفي الدعاة فخرا وخيرية أن تسببهم في الهداية خير مما طلعت عليه الشمس وغربت، روى الشيخان في صحيحيهما من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال لعلي بن أبي طلب رضي الله عنه لما أرسله لقتال اليهود في خيبر: (أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم)[1].

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٠٠٩)، ومسلم في صحيحه رقم (٢٤٠٦).

الدعاة إلى الله أجرهم مستمر ومثوبتهم دائمة، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا) [١].

وفي صحيح مسلم عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من دل على خير فله مثل أجر فاعله) من دل على خير فله مثل أجر فاعله)[٢].

الدعوة إلى الله سبب لصلاح حياة الناس ودفع العقوبة عنهم ومنع فساد الجاهلين: روى البخاري عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا)[٣].

الدعوة إلى الله سبب من أسباب استجابة الدعاء: روى الترمذي في سننه عن حذيفة عن اليمان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم)[٤].

الدعوة إلى الله من مكفرات الذنوب والخطايا، روى الشيخان من حديث حذيفة بن اليمان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره، تكفرها الصلاة والصوم والصدقة، والأمر والنهي)[٥].

قال ابن قيم الجوزية رحمه الله:فالدعوة إلى الله تعالى هي وظيفة المرسلين وأتباعهم، وهم خلفاء الرسل في أممهم، والناس تبع لهم، والله سبحانه قد أمر رسوله أن يبلغ ما أنزل إليه، وضمن له حفظه وعصمته من الناس، وهكذا المبلغون عنه من أمته لهم من حفظ الله وعصمته إياهم بحسب قيامهم بدينه وتبليغه لهم، وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالتبليغ عنه ولو آية، ودعا لمن بلغ عنه ولو حديثا، وتبليغ سنته إلى الأمة أفضل من تبليغ السهام إلى نحور العدو؛ لأن ذلك التبليغ يفعله كثير من الناس،

---

(١) رواه مسلم في صحيحه رقم (٢٦٧٤).

(٢) رواه مسلم في صحيحه رقم (١٨٩٣).

(٣) رواه البخاري في صحيحه رقم (٢٤٩٣).

(٤) رواه الترمذي في سننه رقم (٢١٦٩)، وأحمد في المسند ٣٩١/٥. وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير ١١٨٩/٢.

(٥) رواه البخاري في صحيحه رقم (٥٢٥)، ومسلم في صحيحه رقم (١٤٤).

وأما تبليغ السنن فلا يقوم به إلا ورثة الأنبياء وخلفاؤهم في أممهم، جعلنا الله منهم بمنه وكرمه[1].

وقال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: وقد ورد في فضل الدعوة والدعاة آيات وأحاديث كثيرة، كما أنه ورد في إرسال النبي صلى الله عليه وسلم الدعاة أحاديث لا تخفى على أهل العلم، ومن ذلك قوله جل وعلا: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ} [سورة فصلت:٣٣] فهذه الآية الكريمة فيها التنويه بالدعاة والثناء عليهم، وأنه لا أحد أحسن قولا منهم، وعلى رأسهم الرسل عليهم الصلاة والسلام، ثم أتباعهم على حسب مراتبهم في الدعوة والعلم والفضل، فأنت يا عبد الله يكفيك شرفا أن تكون من أتباع الرسل، ومن المنتظمين في هذه الآية الكريمة[2].

المطلب الثاني: أهمية العناية بالشباب:

قال عز وجل: {نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى} [سورة الكهف:١٣]، وقال سبحانه: {سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ} [سورة الأنبياء:٦٠].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما بعث الله نبيا إلا شابا، ولا أوتي العلم عالم إلا وهو شاب[3].

قال الله سبحانه: {فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ} [سورة الصافات:١٠٢] فكان جواب إسماعيل الشاب معينا لأبيه في ابتلائه، ومثبتا له في امتحانه {قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾} [سورة الصافات:١٠٢].

في مسند أحمد وغيره عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله ليعجب من الشاب ليست له صبوة)[4].

وفي سنن ابن ماجه جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: (كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ونحن فتيان حزاورة -يعني أشداء- فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيمانا)[5].

---

(١) جلاء الأفهام (ص ٣٣٩).

(٢) مجموع فتاوى الشيخ ابن باز ٣٣٣/١.

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٤٥٥/٨، والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة ١٠/١٥، والطبراني في الأوسط ٢٨٣/٦.

(٤) رواه أحمد في المسند ١٥١/٤، والطبراني في المعجم الكبير ٣٠٩/١٧، وأبو يعلى في المسند ٢٨٨/٣، وحسنه الهيثمي في مجمع الزوائد ٤٧٧/١٠، وشعيب الأرناؤوط في تحقيق المسند ٦٠٠/٢٨.

(٥) رواه ابن ماجه في سننه رقم (٦١). وصححه البوصيري في مصباح الزجاجة ١٢/١، والألباني في صحيح وضعيف ابن ماجه رقم (٦١).

وفي مسند أحمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (كان شباب من الأنصار سبعين رجلا يقال لهم القراء، كانوا يكونون في المسجد فإذا أمسوا انتحوا ناحية من المدينة فيتدارسون ويصلون... حتى إذا كانوا في وجه الصبح استعذبوا من الماء واحتطبوا من الحطب فجاؤوا به فأسندوه إلى حجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثهم النبي صلى الله عليه وسلم جميعا فأصيبوا يوم بئر معونة فدعا النبي صلى الله عليه وسلم على قتلتهم خمسة عشر يوما في صلاة الغداة)[١].

وفي الصحيحين قال ابن عمر رضي الله عنهما: (عرضني رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد في القتال وأنا بن أربع عشرة سنة فلم يجزني وعرضني يوم الخندق وأنا بن خمس عشرة سنة فأجازني)[٢].

وفي الصحيحين أيضا عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل، قال سالم: فكان عبد الله بن عمر بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلا[٣].

وفي مسند أحمد عن سمرة بن فاتك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (نعم الفتى سمرة، لو أخذ من لمته، وشمر من مئزره) ففعل ذلك سمرة أخذ من لمته، وشمر من مئزره[٤].

وعنده أيضا من حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال:(إن فتى شابا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه. مه. فقال: ادنه، فدنا منه قريبا. فجلس، قال: أتحبه لأمك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم. -وكذا قال له في البنت والأخت والعمة والخالة ثم قال- فوضع يده عليه وقال:اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه، وحصن فرجه)، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء[٥].

وفي سنن الترمذي ومسند أحمد من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه في حجة الوداع وفيه: (واستفتته جارية شابة من خثعم فقالت: إن أبي شيخ كبير قد أدركته فريضة الله في الحج أفيجزئ أن أحج عنه؟ قال: حجي عن أبيك، ولوى عنق

(١) رواه أحمد في المسند ٢٣٥/٣، وابن حبان في صحيحه ٢٥٣/١٦. وهو في صحيح البخاري رقم (٣٠٦٤) وصحيح مسلم رقم (٦٧٧) وليس فيهما لفظ (شباب).

(٢) رواه البخاري في صحيحه رقم (٢٦٦٤) ومسلم في صحيحه رقم (١٨٦٨) واللفظ له.

(٣) رواه البخاري في صحيحه رقم (١١٢٢) ومسلم في صحيحه رقم (٢٤٧٩).

(٤) رواه أحمد في المسند ٢٠٠/٤. وسنده صحيح.

(٥) رواه أحمد في المسند ٢٥٦/٥. وسنده صحيح.

الفضل بن العباس، فقال العباس: يا رسول الله! لم لويت عنق ابن عمك؟ قال: رأيت شابا وشابة فلم آمن الشيطان عليهما) [1].

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم شبابا لا نجد شيئا، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء)[2].

ولما بعث النبي صلى الله عليه وسلم استنكف شيوخ قريش وحكماؤها عن اتباعه، فكان شباب مكة أنصاره، وأغلب من تقدم إسلامهم هم من الشباب، وأعضاء الدعوة في دار الأرقم بن أبي الأرقم رضي الله عنه كانوا أربعين من خيرة شباب قريش.

فأسلم أبو بكر وعمره ثمان وثلاثون سنة.

وأسلم عمر رضي الله عنه وعمره قريب من الثلاثين.

وأسلم عثمان وعمره أربعا وثلاثين.

وأسلم علي وهو في التاسعة من عمره، وحمل الراية في بدر وهو ابن عشرين سنة.

وأسلم الزبير وعمره ستة عشر عاما.

وأسلم سعد بن أبي وقاص وعمره تسع عشرة سنة.

وأسلم طلحة وهو يناهز الحلم.

وأسلم عبد الرحمن بن عوف وهو في الثلاثين من عمره.

وأسلم أبو عبيدة بن الجراح في العشرين أو في الثلاثين من عمره.

وأسلم سعيد بن زيد وهو دون العشرين، فهؤلاء هم العشرة المبشرون بالجنة سبقوا إلى الإسلام وهم شباب، وتحملوا في سبيل ذلك أنواع الأذى.

وكانت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها تجهز الطعام وتذهب به إليه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وهما في الغار، وكانت إذ ذاك بنت سبع وعشرين سنة، وكان أخوها عبد الله بن أبي بكر شابا يزودهما بأخبار قريش كل ليلة ويبيت عندهما، فإذا كان السحر عاد إلى مكة لا يشعر به أحد.

---

(١) رواه أحمد في المسند ٧٦/١، والترمذي في سننه رقم (٨٨٥).

(٢) رواه البخاري في صحيحه رقم (٥٠٦٦) ومسلم في صحيحه رقم (١٤٠٠).

وكان مصعب بن عمير رضي الله عنه أول سفير إلى المدينة النبوية بعد بيعة العقبة وهو دون الثلاثين، فكان داعية المدينة ومقرئها، وعلى يديه أسلم سعد بن معاذ سيد الأوس وله بضع وثلاثون سنة.

وعالم الأنصار ومفتيها وقاضيها معاذ بن جبل رضي الله عنه أسلم وهو ابن ثمانية عشر عاما، وبعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن قاضيا ومعلما ومفتيا وهو في العشرين.

وكان أسامة بن زيد رضي الله عنه قائد الجيش لقتال الروم في الشام، وقد كان عمره لم يتجاوز ثمانية عشر عاما.

وفي طبقات ابن سعد أن عمرو بن العاص رضي الله عنه رأى قوما نحو فتيانهم عن مجلسهم، فوقف عليهم وقال: ما لي أراكم قد نحيتم هؤلاء الفتيان عن مجلسكم؟! لا تفعلوا، أوسعوا لهم وأدنوهم وحدثوهم وأفهموهم الحديث؛ فإنهم اليوم صغار قوم ويوشكون أن يكونوا كبار قوم، وإنا قد كنا صغار قوم ثم أصبحنا اليوم كبار قوم(١).

وفي سنن الدارمي وغيره عن هشام بن عروة رحمه الله قال: كان عروة بن الزبير رحمه الله يجمع بنيه فيقول: يا بني تعلموا، فإن تكونوا صغار قوم، فعسى أن تكونوا كبار آخرين، وما أقبح على شيخ يسأل ليس عنده علم(٢).

وفي تاريخ ابن أبي خيثمة عن يوسف بن الماجشون رحمه الله قال: قال لنا محمد بن شهاب الزهري رحمه الله أنا وابن أخي وابن عم لي ونحن غلمان أحداث نسأله عن الحديث: لا تحقروا أنفسكم لحداثة أسنانكم؛ فإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا نزل به الأمر المعضل دعا الشبان فاستشارهم يبتغي حدة عقولهم(٣).

ولذلك فإن إعداد الشباب للقيام بالدعوة إلى الله على منهاج السلف الصالح من أنفع أسباب قوة الدعوة الوسطية وانتشارها، فإن لديهم جلد في العمل الدعوي، ومصابرة، وحرص على بذل قصارى جهدهم في خدمة الدعوة الوسطية مع العناية بضبط حماسهم واندفاعهم في حقول الدعوة.

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ١٩٢/٤، المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي (ص ٣٧١).

(٢) رواه الدارمي في سننه رقم (٥٥٢)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ٣٦٤/١.

(٣) رواه ابن أبي خيثمة في تاريخه ١٣٦/١، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ٣٥٩/١، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٩٢/١٣.

المطلب الثالث: العناية بأساليب الدعوة المستقاة من هدي الكتاب والسنة:

قوم جميع أساليب الدعوة إلى الله على أسلوب الحكمة، والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، كما قال تعالى: {ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ} [سورة النحل:١٢٥].

وأساليب الدعوة لها مكانة بالغة في الدعوة إلى الله عز وجل، ومنها:

١- أسلوب التعليم والتبصير:

قال الله تعالى: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ١٥} [سورة الإسراء:١٥]، وقال تعالى:{رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا} [سورة النساء:١٦٥].

وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: "ليس أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك أنزل الكتاب وأرسل الرسل "(١).

٢- أسلوب تقوية الإيمان وتقوية الوازع الديني:

الاهتمام والتركيز بالإيمان بالله وباليوم الآخر وما فيه من جزاء وحساب وجنة ونار فذلك يحفز على التقوى ويقي المسلم مصارع السوء فإذا ما انتفى الإيمان أو ضعف، قويت نوازع الشر فغلبت الشهوات على النفس ودليله حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم: " لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن"(٢).

حديث أنس رضي الله عنه قال: " إنكم لتعملون أعمالا هي أدق في أعينكم من الشعر، إن كنا لنعدها على عهد النبي صلى الله عليه وسلم من الموبقات"(٣).

وحديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:" إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه فقال به هكذا، فقال أبو شهاب يعني الراوي بيده فوق أنفه "(٤).

---

(١) رواه مسلم في صحيحه رقم (٢٧٦٠).

(٢) رواه البخاري في صحيحه رقم (٢٤٧٥)، ومسلم في صحيحه رقم (٥٧).

(٣) رواه البخاري في صحيحه رقم (٦٤٩٢).

(٤) رواه البخاري في صحيحه رقم (٦٣٠٨)، ومسلم في صحيحه رقم (٢٧٤٤).

ونقل ابن حجر رحمه الله عن المحب الطبري قال: إنما كانت هذه صفة المؤمن لشدة خوفه من الله ومن عقوبته لأنه على يقين من الذنب وليس على يقين من المغفرة، والفاجر قليل المعرفة بالله فلذلك قل خوفه واستهان بالمعصية(١).

٣- أسلوب الوعظ والتذكير:

قال الله تعالى: {ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ} [سورة النحل:١٢٥]، وقال: {سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ} [سورة الأعلى:١٠]وقال: {إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا} [سورة النازعات:٤٥]وقوله: {فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ} [سورة ق:٤٥]، وقوله {وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّٰمِ ٱللَّهِۚ} [سورة إبراهيم:٥]، وقوله:{لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ} [سورة يوسف:١١١].

٤- أسلوب التأليف:

قال الله تعالى: {وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ} [سورة التوبة:٦٠]، وقال تعالى: {وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ} [سورة آل عمران:١٥٩].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قول النبي صلى الله عليه وسلم: "من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن ألقى سلاحه فهو آمن"(٢).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ما سئل صلى الله عليه وسلم على الإسلام شيئا إلا أعطاه، وقد جاءه رجل فأعطاه غنما بين جبلين فرجع إلى قومه فقال: يا قوم أسلموا! فإن محمدا يعطي عطاءا لا يخشى الفاقة. ثم قال أنس: إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها(٣).

٥- أسلوب الستر:

عن أنس رضي الله عنه قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فجاءه رجل فقال: يا رسول الله إني أصبت حدا فأقمه عليّ. قال ولم يسأله عنه، قال وحضرت الصلاة فصلى مع النبي صلى الله عليه وسلم فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة قام إليه فقال: يا رسول الله إني أصبت حدا فأقم فيّ كتاب الله، قال: "أليس قد صليت معنا"؟ قال: نعم. قال: "فإن الله قد غفر لك ذنبك" أو قال "حدك"(٤).

---

(١) فتح الباري ١١/١٠٥.

(٢) رواه مسلم في صحيحه رقم (١٧٨٠).

(٣) رواه مسلم في صحيحه رقم (٢٣١٢).

(٤) رواه البخاري في صحيحه رقم (٦٨٢٣)، ومسلم في صحيحه رقم (٢٧٦٤).

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا الحدود "[1].

٦- أسلوب حفز العاطفة وإثارة الشعور والغيرة:

قول الباري جل ذكره: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ} [سورة الحديد:١٦]، وقوله {مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا} [سورة النساء:١٤٧]، وقوله: {مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ} [سورة البقرة:١٠٥]

عن المغيرة بن شعبة قال: قال سعد بن عبادة رضي الله عنهما: لو رأيت رجلا مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: " أتعجبون من غيرة سعد والله لأنا أغير منه والله أغير مني ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن"[2].

ومنه ما تقدم من حديث أبي أمامة رضي الله عنه "أن فتى شابا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله: إئذن لي في الزنا! فأقبل القوم عليه فزجروه قالوا: مه مه؟! قال: أدن، فدنا منه قريبا، قال فجلس. قال: أتحبه لأمك؟ قال: لا والله، جعلني الله فداءك. قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: فأما سماع القاصدين لصلاح القلوب في الاجتماع على ذلك إما نشيد مجرد نظير الغبار وإما بالتصفيق ونحو ذلك فهو السماع المحدث في الإسلام فانه أحدث بعد ذهاب القرون الثلاثة الذين اثنى عليهم النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال: "خير القرون القرن الذي بعثت فيه ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم" وقد كرهه أعيان الأمة ولم يحضره أكابر المشايخ وقال الشافعي رحمه الله: خلفت ببغداد شيئا أحدثته الزنادقة يسمونه التغبير يصدون به الناس عن القرآن، وسئل عنه الامام أحمد بن حنبل فقال: هو محدث أكرهه قيل له: أنه يرق عليه القلب فقال: لا تجلسوا معهم قيل له: أيهجرون فقال: لا يبلغ بهم هذا كله، فبين أنه بدعة لم يفعلها القرون الفاضلة لا في الحجاز ولا في الشام ولا في اليمن ولا في مصر ولا في العراق ولا خراسان ولو كان للمسلمين به منفعة في دينهم لفعله السلف "[3].

---

(١) رواه أحمد في المسند ١٨١/٦، وأبو داود في سننه رقم (٤٣٧٥).

(٢) رواه البخاري في صحيحه رقم (٦٨٤٦)، ومسلم في صحيحه رقم (١٤٩٩).

(٣) مجموع الفتاوى ٥٩١/١١.

٧- أسلوب الاستتابة:

ومعناه أن المعاصي مهما تعاظمت فإنها تغفر، حتى الشرك إذا تاب العبد منه قبل الموت فإنه يغفر، قول الله تعالى: {وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴿١٣٦﴾} [سورة آل عمران:١٣٥-١٣٦]، وقوله: {وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴿١١٠﴾} [سورة النساء:١١٠]، وقوله: {قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴿٥٩﴾} [سورة الزمر:٥٣-٥٩].

حديث أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون"(١).

– وحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم "(٢).

حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " لله أفرح بتوبة العبد من رجل نزل منزلا وبه مهلكة ومعه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته حتى اشتد عليه الحر والعطش أو ما شاء الله، قال أرجع إلى مكاني فرجع فنام نومة ثم رفع رأسه فاذا راحلته عنده"(٣).

(١) رواه أحمد في المسند ١٩٨/٣، والترمذي في سننه رقم (٢٤٩٩)، وابن ماجه في سننه رقم (٤٢٥١). وسنده حسن.
(٢) رواه مسلم في صحيحه رقم (٢٧٤٩).
(٣) رواه البخاري في صحيحه رقم (٦٣٠٨)، ومسلم في صحيحه رقم (٢٧٤٤).

٨- أسلوب الزجر بالاغلاظ في القول والضرب:

قول الله تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٧٣} [سورة التوبة:٧٣].

حديث عائشة رضي الله عنها قالت: استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: " ائذنوا له بئس أخو العشيرة" فلما دخل ألان له الكلام، قلت يا رسول الله قلت الذي قلت ثم ألنت له الكلام؟! قال: " أي عائشة إن شر الناس من تركه الناس أو ودعه الناس اتقاء فحشه"(١).

وحديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي صلى الله عليه وسلم: " ما أظن فلانا وفلانا يعرفان من ديننا شيئا" قال الليث: كانا رجلين من المنافقين(٢).

عن الشعبي قال قال زياد: " كتب إلي أمير المؤمنين أنه ليس ينبغي لي ولا لك أن نسوس الناس سياسة واحدة أن نلين جميعا فتمرح الناس في المعصية ولا أن نشد جميعا فنحمل الناس على المهالك ولكن تكون للشدة والفظاظة وأكون للين والرأفة والرحمة"(٣).

٩- الردع بإقامة الحدود الشرعية والكفارات:

قول الباري جل ذكره: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ} [سورة البقرة:١٧٨]، وقول الله تعالى: {إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣} [سورة المائدة:٣٣]،وقول الله تعالى: {ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢} [سورة النور:٢]، وقال تعالى: {وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٤} [سورة النور:٤].

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من بدل دينه فاقتلوه"(٤).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (٦٠٣٢)، ومسلم في صحيحه رقم (٢٥٩١).

(٢) رواه البخاري في صحيحه رقم (٦٠٦٧).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في المصنف ١٨٧/٦.

(٤) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٠١٧).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به[١].

حديث أبي بردة الأنصاري قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: " لا تجلدوا فوق عشرة أسواط إلا في حد من حدود الله"[٢].

قال ابن القيم رحمه الله: وأما التعزير بالعقوبات المالية فمشروع أيضا في مواضع مخصوصة في مذهب مالك وأحد قولي الشافعي وقد جاءت السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه بذلك في مواضع منها: إباحته صلى الله عليه وسلم سلب الذي يصطاد في حرم المدينة لمن وجده، ومثل أمره صلى الله عليه وسلم بكسر دنان الخمر وشق ظروفها، ومثل أمره لعبد الله بن عمر أن يحرق الثوبين المعصفرين، ومثل أمره صلى الله عليه وسلم يوم خيبر بكسر القدور التي طبخ فيها لحم الحمر الأنسية ثم استأذنوه في غسلها فأذن لهم، فدل ذلك على جواز الأمرين لأن العقوبة لم تكن واجبة بالكسر، ومثل هدمه مسجد الضرار، ومثل تحريق متاع الغال، ومثل حرمان السلب الذي أساء على نائبه، ومثل إضعاف الغرم على سارق مالا قطع فيه من الثمر والكثر، ومثل إضعافه الغرم على كاتم الضالة ومثل أخذه شطر مال مانع الزكاة عزمة من عزمات الرب تبارك وتعالى، ومثل أمره لابس خاتم الذهب بطرحه فلم يعرض له أحد، ومثل تحريق موسى عليه السلام العجل وإلقاء برادته في اليم، ومثل قطع نخيل اليهود إغاظة لهم، ومثل تحريق عمر وعلي رضي الله عنهما المكان الذي يباع فيه الخمر، ومثل تحريق عمر قصر سعد بن أبي وقاص لما احتجب فيه عن الرعية، وهذه قضايا صحيحة معروفة وليس يسهل دعوى نسخها، ومن قال إن العقوبات المالية منسوخة وأطلق ذلك فقد غلط على مذاهب الأئمة نقلا واستدلالا فأكثر هذه المسائل سائغ في مذهب أحمد[٣].

١٠- أسلوب تغيير البيئة أو النفي:

حديث أبي سعيد الخدري أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: " كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة؟ فقال: لا فقتله فكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة:

(١) رواه أحمد في المسند ٣٠٠/١، وأبو داود في سننه رقم (٤٤٦٢)، والترمذي في سننه رقم (١٤٥٦)، وابن ماجه في سننه رقم (٢٥٦١). وسنده صحيح.
(٢) رواه البخاري في صحيحه رقم (٦٨٥٠).
(٣) الطرق الحكمية ٦٨٨/٢.

فقال: نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائبا مقبلا بقلبه إلى الله، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيرا قط فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم، فقال: قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة. قال قتادة: فقال الحسن ذكر لنا أنه لما أتاه الموت نأى بصدره"[1].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: " فيه فضل التحول من الأرض التي يصيب الإنسان فيها المعصية لما يغلب بحكم العادة على مثل ذلك، إما لتذكره لأفعاله الصادرة قبل ذلك والفتنة بها، وإما لوجود من كان يعينه على ذلك ويحضه عليه. ولهذا قال له: (ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء) ففيه إشارة إلى أن التائب ينبغي له مفارقة الأحول التي اعتادها في زمن المعصية، والتحول منها كلها والاشتغال بغيرها[2].

وحديث زيد بن خالد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم "أنه أمر فيمن زنى ولم يحصن جلد مئة وتغريب عام "[3].

وحديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: " لعن النبي صلى الله عليه وسلم المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء وقال: أخرجوهم من بيوتكم"[4].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: فإذا النبي صلى الله عليه وسلم قد أمر بإخراج مثل هؤلاء من البيوت فمعلوم أن الذى يمكن الرجال من نفسه والاستمتاع به وبما يشاهدونه من محاسنه وفعل الفاحشة الكبرى به شر من هؤلاء وهو أحق بالنفي من بين أظهر المسلمين وإخراجه عنهم فإن المخنث فيه إفساد للرجال والنساء لأنه إذا تشبه بالنساء فقد تعاشره النساء ويتعلمن منه وهو رجل فيفسدهن، ولأن الرجال إذا مالوا إليه فقد يعرضون عن النساء ولأن المرأة إذا رأت الرجل يتخنث فقد تترجل هي وتتشبه بالرجال فتعاشر الصنفين وقد تختار هي مجامعة النساء كما يختار هو مجامعة الرجال. وأما إفساده للرجال فهو أن يمكنهم من الفعل به كما يفعل بالنساء بمشاهدته ومباشرته وعشقه... وهذا الذى جاءت به الشريعة من النفي هو نوع من الهجرة أي

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٤٧٠)، ومسلم في صحيحه رقم (٢٧٦٦).
(٢) فتح الباري ٥١٧/٦.
(٣) رواه البخاري في صحيحه رقم (٢٦٤٩)، ومسلم في صحيحه رقم (١٦٩٧).
(٤) رواه البخاري في صحيحه رقم (٥٨٨٦).

هجره... فيجب أن يعاقب اللوطي والزاني بما فيه تفريقه وإبعاده، وجماع الهجرة هي هجرة السيئات وأهلها وكذلك هجران الدعاة إلى البدع وهجران الفساق وهجران من يخالط هؤلاء كلهم أو يعاونهم(١).

١١- إيجاد البدائل:

قال الله تعالى في دعوة لوط عليه السلام: {قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ} [سورة هود:٧٨].

قال ابن كثير رحمه الله:"يرشدهم إلى نسائهم فإن النبي للأمة بمنزلة الوالد فأرشدهم إلى ما هو أنفع لهم في الدنيا والآخرة كما قال لهم في الآية الأخرى:{أَتَأۡتُونَ ٱلذُّكۡرَانَ مِنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٥ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٌ عَادُونَ} [سورة الشعراء:١٦٥-١٦٦](٢).

ومن صوره: لما حرم الله الربا أباح البيع وجعله البديل الصالح عنه فقال تعالى: {وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ} [سورة البقرة:٢٧٥].

وفي تحريم الزنا وكافة الوسائل المؤدية إليه نهى عن ذلك كله في قوله تعالى: {وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ٣٢} [سورة الإسراء:٣٢]وفي المقابل أمر بإنكاح الأيامى وهم من لا زوج له من الجنسين قال تعالى: {وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٣٢} [سورة النور:٣٢]بل وأيضا أباح تعدد الزوجات بشرط العدل بينهن قال عز وجل: {فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ } [سورة النساء:٣].

١٢- أسلوب الهجر:

قال تعالى: {وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٦٨} [سورة الأنعام :٦٨]، وقال تعالى: {وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١١٨} [سورة التوبة:١١٨].

(١) مجموع الفتاوى ٣٠٨/١٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٣٣٧/٤.

وفي حديث ابن عباس الطويل وفيه هجر النبي صلى الله عليه وسلم نساءه شهرا[١].

عن مجاهد عن عبد الله بن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا يمنعن رجل أهله أن يأتوا المساجد فقال بن لعبد الله بن عمر: فإنا نمنعهن، قال عبد الله: أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول هذا، قال: فما كلمه عبد الله حتى مات [٢].

قال ابن تيمية رحمه الله: " وإن كان في هجره لمظهر البدعة والفجور مصلحة راجحة هجره كما هجر النبي صلى الله عليه وسلم الثلاثة الذين خلفوا حتى تاب الله عليهم[٣].

وقال في موضع آخر: فان الهجرة نوع من أنواع التعزير والعقوبة نوع من أنواع الهجرة التى هى ترك السيئات فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " المهاجر من هجر السيئات" وقال: "المهاجر من هجر ما نهى الله عنه " فهذه هجرة التقوى وفى هجرة التعزير والجهاد هجرة الثلاثة الذين خلفوا وأمر المسلمين بهجرهم حتى تيب عليهم[٤].

المطلب الرابع:

يجعل الله من نصرة الدعاة ولو بعد حين ما يهدي قلوب الغافلين ويثبت به الذاكرين

قال الله تعالى:{أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾} [سورة البقرة:٢١٤].

قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله:فمعنى الكلام: أم حسبتم أنكم أيها المؤمنون بالله ورسله تدخلون الجنة ولم يصبكم مثلُ ما أصاب مَن قبلكم مِن أتباع الأنبياء والرسل من الشدائد والمحن والاختبار، فتُبتلوا بما ابتُلوا واختبروا به من البأساء وهو شدة الحاجة والفاقة، والضراء وهي العلل والأوصاب، ولم تزلزلوا زلزالهم، يعني: ولم يصبهم من أعدائهم من الخوف والرعب شدة وجهدٌ، حتى يستبطئ القومُ

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (٥١٩١)، ومسلم في صحيحه رقم (١٤٧٩).
(٢) رواه أحمد في المسند ٣٦/٢.
(٣) مجموع الفتاوى ٢٨٦/٣.
(٤) مجموع الفتاوى ٢١١/٢٨.

نصرَ الله إياهم، فيقولون: متى الله ناصرنا؟ ثم أخبرهم الله أن نصره منهم قريبٌ، وأنه مُعليهم على عدوِّهم، ومظهرهم عليه، فنجَّز لهم ما وعدهم، وأعلى كلمتهم، وأطفأ نار حرب الذين كفروا "[1].

المطلب الخامس:

يحدث الله من سبل النصر والتمكين ما هو فوق قدرات البشر وفوق ما يؤمله الداعية:

قال تعالى: { وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ } [سورة النور:٥٥].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:هذا وعدٌ من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض، أي: أئمةَ الناس، والولاةَ عليهم، وبهم تصلح البلاد، وتخضع لهم العباد، ولَيُبدلَنّ بعد خوفهم من الناس أمناً وحكماً فيهم، وقد فعل تبارك وتعالى ذلك، فإنه لم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى فتح الله عليه مكة وخيبر والبحرين وسائر جزيرة العرب وأرض اليمن بكمالها، وأخذ الجزية من مَجُوس هَجَر، ومن بعض أطراف الشام، وهاداه هرقل ملك الروم، وصاحب مصر والإسكندرية وهو المقوقس، وملوك عُمان، والنجاشي ملك الحبشة، الذي تَملَّك بعد أصْحَمة. ثم لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم واختار الله له ما عنده من الكرامة قام بالأمر بعده خليفته أبو بكر الصديق " [2].

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: " هذا من أوعاده الصادقة التي شوهد تأويلها ومخبرها، فإنه وعدَ من قام بالإيمان والعمل الصالح من هذه الأمة أن يستخلفهم في الأرض، يكونون هم الخلفاء فيها المتصرفين في تدبيرها، وأنه يمكِّن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وهو دين الإسلام، الذي فاق الأديان كلها، ارتضاه لهذه الأمة لفضلها وشرفها ونعمته عليها، بأن يتمكنوا من إقامته، وإقامة شرائعه الظاهرة والباطنة في أنفسهم وفي غيرهم، لكون غيرهم من أهل الأديان وسائر الكفار مغلوبين ذليلين، وأنه يبدلهم من بعد خوفهم الذي كان الواحد منهم لا يتمكن من إظهار دينه، وما هو عليه إلا بأذى كثير من الكفار، وكون جماعة المسلمين قليلين جدّاً بالنسبة إلى غيرهم،

(١) تفسير الطبري ٤/٢٨٨.

(٢) تفسير ابن كثير ٦/٧٧.

وقد رماهم أهل الأرض عن قوس واحدة، وبغوا لهم الغوائل.فوعدهم الله هذه الأمور وقت نزول الآية، وهي لم تشاهد الاستخلاف في الأرض والتمكين فيها، والتمكين من إقامة الدين الإسلامي، والأمن التام، بحيث يعبدون الله، ولا يشركون به شيئاً، ولا يخافون أحداً إلا الله، فقام صدر هذه الأمة من الإيمان والعمل الصالح بما يفوقون على غيرهم، فمكَّنهم من البلاد والعباد، وفتحت مشارق الأرض ومغاربها، وحصل الأمن التام والتمكين التام، فهذا من آيات الله العجيبة الباهرة، ولا يزال الأمر إلى قيام الساعة، مهما قاموا بالإيمان والعمل الصالح فلا بد أن يوجد ما وعدهم الله، وإنما يسلط عليهم الكفار والمنافقين، ويديلهم في بعض الأحيان بسبب إخلال المسلمين بالإيمان والعمل الصالح " [1].

قال تعالى: {ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾} [سورة الحج:٤١].

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: " وفي قوله تعالى:{ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ} دليل على أنه لا وعدَ من الله بالنصر إلا مع إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر...وقوله تعالى: {إِنَّ الله لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} العزيز: الغالب الذي لا يغلبه شيء، وهذه الآيات تدل على صحة خلافة الخلفاء الراشدين؛ لأن الله نصرهم على أعدائهم؛ لأنهم نصروه، فأقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وأمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر، وقد مكَّن لهم، واستخلفهم في الأرض، كما قال:{وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ} [سورة النور:٥٥].والحق أن الآيات المذكورة تشمل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكل من قام بنصرة دين الله على الوجه الأكمل، والعلم عند الله تعالى "[2].

المطلب السادس:

النصر للدعوة ليس شرط أن يكون في حياة الداعية:

قال تعالى:{فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ} [سورة غافر:٧٧-٧٨]..

(١) تفسير السعدي (ص ٥٧٣).

(٢) أضواء البيان ٥/٢٧٢.

قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: فاصبر يا محمد على ما يجادلك به هؤلاء المشركون في آيات الله التي أنزلناها عليك، وعلى تكذيبهم إياك، فإن الله منجز لك فيهم ما وعدك من الظفر عليهم، والعلو عليهم، وإحلال العقاب بهم، كسنتنا في موسى بن عمران ومن كذبه (فإما نرينك بعض الذي نعدهم) فإما نرينك يا محمد في حياتك بعض الذي نعد هؤلاء المشركين من العذاب والنقمة أن يحل بهم (أو نتوفينك) قبل أن يحل ذلك بهم (فإلينا يرجعون) يقول: فإلينا مصيرك ومصيرهم، فنحكم عند ذلك بينك وبينهم بالحق بتخليدناهم في النار، وإكرامناك بجوارنا في جنات النعيم(١).

قال تعالى:{وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ} [سورة يونس:٤٦].

قال الزجاج رحمه الله: يقال في التفسير: إنه يعنى به وقعة بدر، وقيل: إن الله جل وعز أعلم النبي صلى الله عليه وسلم أنه ينتقم من بعض هذه الأمة ولم يعلمه أيكون ذلك قبل وفاته أم بعدها. والذي تدل عليه الآية أن الله جل وعز أعلمه أنه إن لم ينتقم منهم في العاجل انتقم منهم في الآجل، لأن قوله: {أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ} [سورة يونس:٤٦] يدل على ذلك(٢).

وقال ابن عطية الأندلسي رحمه الله: ومعنى الآية: إن نبقك يا محمد لترى أو نتوفينك، فعلى كلا الوجهين إنما يلزمك البلاغ فقط(٣).

وقال القرطبي رحمه الله: قوله {بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ} أي من إظهار دينك في حياتك. وقال المفسرون: كان البعض الذي وعدهم قتل من قتل وأسر من أسر ببدر. {أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ} عطف على {نُرِيَنَّكَ} أي نتوفينك قبل ذلك(٤).

وقال الله عز وجل في مدة دعوة نوح عليه الصلاة والسلام وكم آمن به، قال:{وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ} [سورة هود:٤٠].

وقال في دعوة إبراهيم الخليل، وشأن من آمن له: {فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٦} [سورة العنكبوت:٢٦].

(١) تفسير ابن كثير ٧٧/٦.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٢٣/٣.

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٣١٨/٣.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٣٤٩/٨.

وفي الصحيحين عن خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: (هاجرنا مع النبي صلى الله عليه وسلم، نريد وجه الله، فوقع أجرنا على الله، فمنا من مضى ولم يأخذ من أجره شيئا، ومنا من أينعت له ثمرته، فهو يهدبها)[1].

وعندهما أيضا عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (عرضت علي الأمم فرأيت النبي معه الرهيط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد)[2].

قال محمد الأمين الهرري رحمه الله: (فرأيت النبي) من الأنبياء (ومعه الرهيط) تصغير الرهط وهي الجماعة دون العشرة أي رأيته والحال أن معه الجماعة القليلة من أمته، ورأيت (النبي) الآخر منهم (ومعه الرجل والرجلان) من أمته لم يؤمن به إلا واحد أو اثنان كلوط عليه السلام، ورأيت (النبي) الآخر منهم، والحال أنه (ليس معه أحد) من أمته لم يؤمن به واحد منهم كيحيى عليه السلام[3].

وفي مسند أحمد عن تميم الداري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:(ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر، إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز، أو بذل ذليل، عزا يعز الله به الإسلام، وذلا يذل الله به الكفر)[4].

وفي صحيح البخاري عن خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: (أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة، وهو في ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة، فقلت: يا رسول الله، ألا تدعو الله، فقعد وهو محمر وجهه، فقال: لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد، ما دون عظامه من لحم أو عصب، ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على مفرق رأسه، فيشق باثنين ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، ما يخاف إلا الله) [5].

مهمة الدعاة هو إبلاغ الدعوة على وجهها الصحيح وتذكيرهم بشريعة الله لإقامة حجة الله على خلقه، قال تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ} [سورة المائدة:٦٧]، وقال تعالى: {فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ} [سورة النحل:٣٥]، وقوله تعالى: {وَإِذۡ قَالَتۡ أُمَّةٞ مِّنۡهُمۡ لِمَ تَعِظُونَ قَوۡمًا ٱللَّهُ

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (١٢٧٦)، ومسلم في صحيحه رقم (٩٤٠).
(٢) رواه البخاري في صحيحه رقم (٦٥٤١)، ومسلم في صحيحه رقم (٢٢٠) واللفظ له.
(٣) الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم ١٥٠/٥.
(٤) رواه أحمد في المسند ١٠٣/٤.
(٥) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٤١٦).

مُهۡلِكُهُمۡ أَوۡ مُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗاۖ قَالُواْ مَعۡذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ } [سورة الأعراف:١٦٤]، وقال تعالى: {فَإِنۡ حَآجُّوكَ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ} [سورة آل عمران:٢٠]، وقوله سبحانه: {وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ} [سورة المائدة:٩٢]، وقال جل شأنه: {مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ} [سورة المائدة:٩٩]، وقال تعالى: {قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ} [سورة النور:٥٤]، وقوله: {وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ } [سورة التغابن:١٢].

الخاتمة

أحمد الله سبحانه أن يسر لي إنجاز كتابة هذا البحث الذي تدارست فيه فقه الدعوة من خلال قصة أصحاب الكهف، ويطيب لي بعد هذه الدراسة أن أذكر ما توصلتُ إليه من نتائج علمية متعلقة بفقه الدعوة من هذه الآيات، وتتلخص فيما يلي:

١. أصحاب الكهف كانوا على الدين الذي جاء به عيسى عليه السلام.
٢. الزمان الذي كان فيه أصحاب الكهف قبل أن يأووا إلى الكهف فكان بعيد رفع نبي الله عيسى عليه السلام بحين من الدهر.
٣. المكان الذي وُلدوا فيه ونشأوا، والجبل الذي فيه الكهف، وتحديد ذلك كله فلم يثبت عندي فيه شيءٌ.
٤. ظهر لي من خلال البحث أن غالب أهل المدينة التي كان فيها أصحاب الكهف لم يكونوا على ملة التوحيد، وأن السلطان الذي كان يحكم تلك المدينة أجبر الناس فيها على الشرك بالله سبحانه.
٥. ظهر لي من خلال البحث أن أصحاب الكهف اعتنقوا دين التوحيد استجابة لدعوة قلة من أهل المدينة لهم.
٦. دعا أصحاب الرقيم إلى التوحيد وصدعوا بذلك،وأقاموا الحجة على قومهم.
٧. أصحاب الكهف من خيرة الدعاة إلى الله في تلك الأزمان.
٨. كان أصحاب الكهف شباب ثابتين على دعوة التوحيد صابرين في سبيل الدعوة.
٩. دعا أصحاب الكهف قومهم بأسلوب الحكمة والموعظة الحسنة وجادلوا قومهم بالحسنى.
١٠. أخذ أصحاب الكهف بوسيلة الخطاب الحسن اللين والانتقال بالدعوة في مجامع قومهم.
١١. بعد أن قام أصحاب الكهف بواجبهم الدعوي وأقاموا الحجة على قومهم وعلموا وتيقنوا أن قومهم سينزلون بهم الضرر خرجوا من مدينتهم حفظاً لأنفسهم ودينهم من الفتن.
١٢. ظهر لي أن من مقاصد بعث الله لأصحاب الكهف ومن ثم ذكر قصتهم لتبقى سيرتهم إلى قيام الساعة هو بيان فضلهم الذي كان ثمرة لجهودهم الدعوية إلى التوحيد.

التوصيات:

وبعد دراسة هذه الآيات وما ذكرت من نتائج أذكر عددا من التوصيات وهي:

١. لابد من مزيد عناية بدراسة المسائل والفوائد الدعوية في القصص القرآني.
٢. التدبر للقصص القرآني من خلال تفسير موضوعي يثري حصيلة الداعية في مجال الدعوة قولاً وعملاً وعقيدة وفكراً وإعداداً نفسياً وتربوياً.
٣. سورة الكهف فيها قصص جزيل وعظيم النفائس ينبغي للدعاة أن يعتنوا به دراسة وإفادة.
٤. قصة أصحاب الكهف مدرسة للدعاة فيها الكثير والكثير من الفوائد والدروس الدعوية، ولولا مخافة الإطالة لذكرت أكثر بكثير مما ذكرت في هذا الباب.
٥. هناك مسائل كثيرة دعوية متعلقة بأركان الدعوة الأربعة في قصة أصحاب الكهف يمكن للداعية دراسة أحدها أو بعضها على حدة.

فهرس المصادر والمراجع

- الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، لضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي (المتوفى: ٦٤٣ه)، ت: معالي الأستاذ الدكتور عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠ه – ٢٠٠٠م.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة: لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ)، المحقق: علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، سنة النشر: ١٤١٥هـ – ١٩٩٤ م.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبدالقادر الجكني الشنقيطي ١٣٩٣ه، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، ١٤١٥هـ.
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخَلَّال البغدادي الحنبلي (المتوفى: ٣١١هـ)، تحقيق: الدكتور يحيى مراد، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.
- البداية والنهاية: لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م، سنة النشر: ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م
- البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن كثير بن ضوء بن كثير– دار إحياء التراث العربي، ت: علي شيري، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ.
- التاريخ الكبير، أبو بكر أحمد بن أبي خيثمة (المتوفى: ٢٧٩ هـ)، تحقيق: صلاح فتحي هلال، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر – القاهرة.

- تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ- ١٩٩٥ م.
- التعريفات = كتاب التعريفات: لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت -لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م
- التعريفات الفقهية، محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، الناشر: دار الكتب العلمية (إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- تفسير الرازي: مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ ه
- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن الرازي (ت: ٣٢٧هـ) ت: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز – السعودية، الطبعة: الثالثة، ١٤١٩هـ.
- تفسير القرآن العظيم: لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٩ هـ
- التفسير القيم ص التفسير القيم = تفسير القرآن الكريم (ابن القيم)، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ.
- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨ه.
- تفسير عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، سنة ١٤١٩هـ.

- تفسير مقاتل بن سليمان، مقاتل بن سليمان الأزدي البلخي (ت: ١٥٠هـ) ت: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ.
- تفسير يحيى بن سلام، يحيى بن سلام التيمي بالولاء، البصري الإفريقي القيرواني (ت: ٢٠٠هـ) ت: الدكتورة هند شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
- تهذيب اللغة: لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي،أبو منصور(المتوفى:٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب،الناشر:دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة: الأولى،٢٠٠١م.
- التواضع والخمول، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ه – ١٩٨٩م
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.
- جامع البيان في تأويل القرآن: لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م.
- جامع بيان العلم وفضله، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣ه)، ت: أبي الأشبال الزهيري، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ه - ١٩٩٤م.
- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي: لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي(المتوفى:٦٧١هـ)،تحقيق:أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية-القاهرة،الطبعة: الثانية،١٣٨٤هـ-١٩٦٤ م.
- جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) – ط عالم الفوائد.
- الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ.

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، الناشر: السعادة – بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م.
- خصائص الدعوة الإسلامية، لمحمد أمين حسين، ط١، ١٩٨٢م، مكتبة الفلاح– الكويت.
- الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الفكر – بيروت.
- درج الدُّرر في تفسير الآي والسور، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ)، تحقيق: وَلِيد بِن أحمد بن صَالِح الحُسَيْن، وإياد عبد اللطيف القيسي، مجلة الحكمة، بريطانيا، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.
- زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي (ت: ٥٩٧هـ) ت: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها: لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، (لمكتبة المعارف).
- سنن ابن ماجه: لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي.
- سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السِّجِسْتاني، تحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد،المكتبة العصرية-بيروت(المتوفى:٢٧٥هـ)،تحقيق:شعَيب الأرنؤوط،ومحَمَّد كامِل قره بللي،دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى،١٤٣٠هـ-٢٠٠٩ م.
- سنن الترمذي: لمحمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م.

- سير أعلام النبلاء: لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
- السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ- ١٩٥٥م.
- شرح النووي على مسلم، ليحيى بن شرف النووي ٦٧٦ه، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية ١٣٩٢ه.
- شعب الإيمان، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبي بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨ه)،ت:الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ه – ٢٠٠٣م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤ – ١٩٩٣
- صحيح الأدب المفرد، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري (ت: ٢٥٦هـ) ت: محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق للنشر، ط: ٤، ١٤١٨ هـ .
- صحيح البخاري المسمى بالجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
- صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتَبة المَعارف لِلنَشْرِ والتوزيْع، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م.
- صحيح الجامع الصغير وزياداته: لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي.

- صحيح مسلم: لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المسمى المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض– المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ.
- الطبقات الكبرى: لأبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م.
- الطرق الحكمية: لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: مكتبة دار البيان، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري: لأبي محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- فتح الباري، لأحمد بن علي بن حجر ٨٥٢ه، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب.
- القاموس المحيط: لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.
- الكامل في التاريخ، لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠ه)، ت: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ه / ١٩٩٧م.
- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار: لأبي بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ)، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.

- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧ه)، ت: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢ه – ٢٠٠٢م.
- الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم (المسمَّى: الكوكب الوهَّاج والرَّوض البَهَّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج): لمحمد الأمين بن عبد الله الأُرَمي العَلَوي الهَرَري الشافعي، نزيل مكة المكرمة والمجاور بها، مراجعة: لجنة من العلماء برئاسة البرفسور هاشم محمد علي مهدي، المستشار برابطة العالم الإسلامي – مكة المكرمة، الناشر: دار المنهاج – دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م.
- لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.
- اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي الحنبلي الدمشقي النعماني (ت: ٧٧٥هـ) ت: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.
- لسان العرب: محمد بن مكرم بن على،أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى:٧١١هـ)،الناشر:دار صادر–بيروت،الطبعة:الثالثة– ١٤١٤هـ.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: لأبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)، المحقق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م.
- مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨ هـ)، تحقيق: أنور الباز – عامر الجزار، دار الوفاء، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٦هـ– ٢٠٠٥م.
- مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.

- مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م
- المختصر في أخبار البشر، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، الملك المؤيد، صاحب حماة (المتوفى: ٧٣٢هـ)، المطبعة الحسينية المصرية، الطبعة: الأولى.
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦هـ– ١٩٩٦م.
- المدخل إلى السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، تحقيق: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي – الكويت.
- مسند أبي يعلى، المؤلف: أبو يعلى أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (المتوفى: ٣٠٧هـ)، المحقق: حسين سليم أسد، الناشر: دار المأمون للتراث – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ – ١٩٨٤ م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت: ٢٤١هـ) ت: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ .
- مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)، لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: ٢٥٥ه)، ت: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ه – ٢٠٠٠م.
- مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه: لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز بن عثمان البوصيري الكناني الشافعي (المتوفى: ٨٤٠هـ)، المحقق: محمد المنتقى الكشناوي، الناشر: دار العربية-بيروت،الطبعة:الثانية،١٤٠٣ هـ.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت.
- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي -بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ

- معالم القربة في طلب الحسبة، محمد بن محمد بن أحمد بن أبي زيد بن الأخوة، القرشي، ضياء الدين (ت: ٧٢٩هـ)، دار الفنون «كمبردج»
- معاني القرآن وإعرابه: لإبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م.
- المعجم الأوسط: لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين – القاهرة.
- المعجم الكبير: لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الثانية.
- الموسوعة الفقهية الكويتية: صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، الطبعة الثانية، دار السلاسل – الكويت، طبعة الوزارة.
- الموطأ: لمالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: ١٧٩هـ)، المحقق: محمد مصطفى الأعظمي، الناشر: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية – أبو ظبي – الإمارات، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م.
- نهاية الرتبة في طلب الحسبة، محمد بن أحمد ابن بسام المحتسب، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، وأحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ– ٢٠٠٣م.
- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، مكي بن أبي طالب (ت: ٤٣٧هـ) رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، ط، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨م.
- الوابل الصيب من الكلم الطيب، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث – القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٩٩٩م.
- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤ م.